



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم

كلية الآداب و الفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

عنوان المذكرة

سمات المقامة العربية و الفارسية - بين التأثير و التآثر - المضيرية للهمداني
و السكباجية لمحمدالدين أنموذجا-

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

إشراف الأستاذ :

معمر عبد الله

من إعداد الطالبة :

بوزيتونة نبية

السنة الجامعية : 2018-2019

سُرَّتْ كَلِمَاتُكَ وَتَعَرَّفْتُ بِكَ

أحمد الله حمد الشاكرين ، الذي وهبني العزيمة و حب العلم ، و على ما أنعمه عليّ من إتمام لهذه الدراسة حمدا يليق بجلال وجهه و عظيم سلطانه و الصلاة و السلام على نبيه الأمين محمد صلى الله عليه و سلم ، و عملا بقوله : " أفلا أكون عبدا شكورا " أتقدم بأسمى آيات الشكر و العرفان إلى

أستاذي المشرف فضيلة الأستاذ: معمر عبد الله أكرمه الله

الذي لم يدخر جهدا في نصحي و إرشادي و توجيهي من أجل إنجاح هذه الرسالة.

إهداء

إلى روح والديّ...

إلى أستاذي...

إلى كل محبي العلم و المعرفة...

إهداء من:

بوزيتونة نبية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة

● مقدمة:

● لقد نشأ في أواخر العصر العباسي فن جديد استقبله الأدب العربي، وفسح له مجالاً رحباً كفن أدبي له مكانته الرفيعة في تاريخ الأدب العربي و الفارسي واستجابت له اللغة استجابة مبهرة و قد تمثل في فن المقامات الذي اعتبر وثيقة حياتية مهمة في ظل تلك الحياة السياسية والظروف الاقتصادية القاسية و استبدال نظام الحكم في العصر العباسي وهذا ما جعلها ترصد لنا بدقة جوانب من سلوكيات الناس، وتركز على تصوير بعض سلبيات الواقع خاصة فيما يتعلق ببعض مساوئ السلوك البشري وجانب من الأعراف والعادات والتقاليد و بذلك لجأ البعض إلى حيلة التسول عند الحكماء و الأمراء و أفراد المجتمع بأسلوب أدبي طريف لنيل العطاء المادي، و بالتالي فالغرض الأساسي لهذا الفن لم يكن جمال القصص و إنما أريد به قطعة أدبية فنية تجمع شوارد اللغة و نواذر التركيب بأسلوب مسجوع هادفة إلى تحسين اللفظ و تزيينه . فقد تسابق الأدباء في تجميل القول بغية كتابة فن المقامة التي ارتبطت بالغناء.

● و يقال أن النثر الفارسي تأثر تأثراً كبيراً بالنثر العربي و أخذ منه ألفاظه و موضوعاته و قلده في صياغة الجمل و السجع على الرغم من اختلاف اللغتين في الأصول و القواعد.

● و في الحديث عن المقامات العربية منها و الفارسية يتبادر إلى الأذهان مباشرة مقامات ابن دريد و ابن فارس و بديع الزمان الهمذاني و الحريري و غيرهم كثر من الأدباء الذين تركوا بصمتهم في هذا الفن المتميز و كان لهم كل الفضل في نشأته و ارتقائه.

● و لهذا كانت المقامة العربية و الفارسية محور بحثي و مصب اهتمامي و منه ففن المقامة قد حظي باهتمام واضح و كبير في تاريخ الأدب العربي عامة و الفارسي خاصة، و قد تركز هذا الاهتمام على طبيعة المقامات و نشأتها و تطورها من بديع الزمان إلى كل روادها الذين أبدعوا و تفننوا في نسجها.

● و لأجل ذلك و بغرض البحث و التنقيب في ثنايا هذا الفن وقع اختياري بالضبط على سمات المقامة العربية و الفارسية و منها المقامة المضيرية للبيديع، و السكاجية للحميدي، و أشير إلى أن العوامل التي دفعنتي لاختيار هذا الموضوع بالذات دون غيره هي رغبتني و فضولي الدائم في التعريف بهذا الفن الأدبي، و الالتفات قليلاً لتراثنا العربي الزاخر بالإبداعات الأدبية الكثيرة و الجديرة بالدراسة و الاهتمام، و لأن هذا التراث يمثل ماضيها الذي لا بد من المحافظة عليه فمن لا ماضي له لا حاضر له.

- كما لا أنسى الدافع الذاتي في اختيار هذا الموضوع و المتمثل في الميل إلى هذا الجنس الأدبي و الإعجاب الشديد به لماله من تأثير على أنفسنا فارتأيت التعرض لهذا الموضوع قصد دراسة العلاقة المشتركة بين المقامة العربية و الفارسية لمعرفة مدى التوافق ، و الاختلاف و كذا معرفة عوامل التأثير و التأثير بين المقامتين.
- و بما أن دراستي جاءت موسومة بعنوان " سمات المقامة العربية و الفارسية-بين التأثير و التأثير-" فإنني قد اشتغلت على التساؤلات الأتية:ما المقامة؟ وما دواعي ظهورها؟، وما الفرق بين المقامة العربية و الفارسية؟ امتدادا بالمقامة العربية؟؟ و ما أثر المقامات العربية في الأدب ؟ وما هي عوامل التأثير و التأثير بين المقامة الفارسية و العربية وما أثره؟
- فكل هذه التساؤلات في الحقيقة و غيرها تثير اهتمامي و فضول المشتغلين في الأدب العربي فهي الركيزة الجوهرية التي يبنى عليها العمل الأدبي.
- و للإجابة عن كل هذه التساؤلات اتبعت المنهج التحليلي و منهج المقارنة لأنه الأنسب لطبيعة هذا الموضوع فقامت بتحليل نماذج من المقامات لكل من الهمداني و، الحميدي و عقدت بينهما مقارنة و من الدراسات التي كانت سبقة لي في هذا الموضوع من البحوث الأكاديمية نجد : فن المقامات في الأدب العربي و المقامات و تأثيرها في الآداب العالمية و المقامات العربية و أثرها في الأدب العربي الفارسي و دراسة جمالية فنية للمقامات في العصر العباسي ، فن المقامة المضيرية لبديع الزمان أنموذجا و كذلك بنية القصة في مقامات بديع الزمان الهمداني دراسة فنية و المقامات في الأغنية العربية المعاصرة ، و حاجية السرد في مقامات الحريري و أخيرا المقامة بين الأدب العربي و الفارسي الحريري و الحميدي أنموذجا.
- و لإنجاز هذا البحث الأكاديمي رسمت له خطة موزعة على مدخل و فصلين ففي المدخل : تناولت البيئة العباسية و أثرها في فن البديع أما في الفصل الأول المعنون: المقامة مفهومها و نشأتها في الأدبين العربي و الفارسي فقد قمت بتقسيمه إلى مبحثين بما أنه فصل تطبيقي فقد تناولت في المبحث الأول : أوجه التشابه و الاختلاف بين المقامة العربية و الفارسية أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه نشأة المقامة في الأدبين العربي و الفارسي.
- أما فيما يخص الفصل الثاني المعنون: أثر المقامة المضيرية للبديع و السكاجية للحميدي فقسمته كذلك إلى مبحثين بما أنه فصل تطبيقي فقد تناولت في المبحث الأول : أوجه التشابه و الاختلاف بين المقامة العربية و الفارسية أما المبحث الثاني : فدرست فيه مظاهر التأثير و التأثير بين المقامة السكاجية و المقامة المضيرية هذا و بالإضافة إلى خاتمة أوجزت فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

- و من خلال مساري في هذا البحث الأكاديمي اتبعت منهجية الوصف و التحليل في الجانب النظري و التطبيقي حيث عقدت موازنة أو مقارنة بين المقامة المضيرية و السكاجية من حيث أوجه التشابه و الاختلاف وكما جرت العادة محتم أن تواجه الباحث العديد من الصعوبات من بينها ندرة المراجع المعتمدة في التحليل إلا أنني استطعت تجاوزها و السير قدما لإتمامه و أحمد الله الذي وفقني على هذا و قد اعتمدت في موضعي هذا على بعض المصادر و المراجع منها : شرح المقامات بديع الزمان الهمذاني لمحمد محي الدين عبد الحميد ، و كذا فن المقامات في الأدب العربي لعبد المالك مرتاض و كتاب أحمد أمين مصطفى فن المقامة بين بديع الزمان الهمذاني و الحريري و غيرها... من المراجع المعتمدة و في الأخير أرفع آيات الشكر و العرفان للأستاذ المشرف معمر عبد الله الذي دفعني إلى المضي قدما في إنجاز هذه المذكرة و الذي لم يبخل علي بتوجيهاته القيمة ونصائحه العلمية المفيدة.



مدخل :

البيئة العباسية و أثرها في
فن البديع

عرفت الحياة السياسية في القرن الرابع الهجري أحداثا كثيرة "ذلك أن طوائف مختلفة شرعت تتنازع على السلطة ، وقد حاول الخارجون عن القانون الاستقلال بإمارتهم فاستولوا على ما كان في يد الخلفاء العباسيين، إلا تلك البقعة الصغيرة بالعراق حول بغداد ففي الربع الأخير من القرن الثاني وهو الوقت الذي كانت فيه الدولة العباسية في بدايتها أو بعد اقل من خمسين عاما من نشأتها ، أنشأ العلويون في المغرب دولة الأدارسة ، وهي أول دولة استقلت عن العباسيين وهي أول دولة عربية استقلت عن مقر الخلافة سنة (175 هـ) و امتدت إلى غاية (375)".¹

فالرغبة الملحة من قبل بعض الطوائف الغير راضية عن الخلافة العباسية جعلتهم يخمنون في تشكيل إمارات مستقلة عن الخلافة في بغداد، ولم يمض وقت طويل على نشأة دولة بني العباس حتى ظهرت أولى الدول المستقلة والمتمثلة في دول الأدارسة .

1-مصطفى الشعبة ، بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، الدار المصرية اللبنانية، ط2003، 1، ص27.

"ولم يمض وقت طويل من قيام هذه الدولة حتى قامت في المغرب دولة أخرى باختيار العباسيين ، أقامها "هارون الرشيد" لتكون حائلا بينه وبين الأداراسة ودولة الأغالبة نسبة إلى "إبراهيم بن الأغلب ". واتخذت من تونس مقرا لها.¹

وفي أوائل القرن الثالث وبالضبط في(205هـ - 720) نشأت الدولة الطاهرية بإرادة الخلافة يقول "علي عبد المنعم": "وكذلك فعل المأمون في المشرق فقد ولى عبد الله بن طاهر إمارة خراسان، وجعل الولاية متوارثة في عقبه، كي تكون حاجز بينه وبين دولة الصفاريين".²

ولم يتوقف الأمر عند الدولة الطاهرية، بل نشأت دولة أخرى هي الدولة الصفارية وتمثل هذه الدولة امتداد سياسيا للحركات الانفصالية التي قامت في المشرق الإسلامي في جزء من أجزاء إيران الجغرافية و هو الجزء الجنوبي ، أسسها يعقوب بن الليث الصفار الذي استغل فرصة ضعف الخلافة العباسية المنهكة في قتال الزنج ، فتغلب على أقاليم إيران الجنوبية وضم إليه بلاد فارس ، وتوسع باتجاه خراسان بعد أن قضى على الدولة الطاهرية في عام(259هـ - 873 م) فاشتدت شوكته ، وسيطر على سجستان في أقصى إيران الجنوبية ووادي كابل والسند و مكران. ثم كتب إلى الخليفة بما آلت إليه الأوضاع في المشرق . وتميز حكمه

1- المرجعه السابق، ص28.

2- علي عبد المنعم عبد الحميد، النموذج الإنساني في أدب المقامة ، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1994، ص28.

بالخصائص السائدة في ذلك العصر. فحقق الأمن والاستقرار في المناطق التي

تحت سيطرته فتعلق الجيش به وسانده السكان" ¹

ويرى" مصطفى الشعبة " أن "سلطان هذه الدولة اتسع حتى قارب العراق ويضيف

قائلا : وهي أول إمارة أعلنت الحرب على الدولة العباسية لأنها كانت ذات صبغة

فارسية ولعل هذا الأمر يعد امتدادا للمشاحنات الكثيرة التي كانت تحدث في بلاط

الخلفاء بين العرب والفرس".²

إن التمرد الذي عانت منه الخلافة العباسية وقتئذ جعل إمارة الصفاريين تستقل

بذاتها وتتمرد على سلطان الخلافة ، وقد كانت الدولة ممتدة إلى أن شملت بلاد

فارس وخراسان وغيرهما من المناطق.

أما فيما يخص الدولة السامانية" فقد قامت في المشرق (261هـ -389م) في إقليم

ما وراء نهر جيحون وامتدت إلى إيران وبسطت نفوذها على خراسان ، كما ضمت

طبرستان ، و الري والجل و سجستان واتجهت إلى تبني النزاعات الانفصالية

الفارسية بشكل أكثر ، وبرزوا من خلال إحياء اللغة والثقافة الفارسية .³

إذن قامت هذه الدولة على أنقاض الدولة الصفارية وقد عرف الحكم في ظلها تطورا

ملحوظا، ولعل أهم ما ميز هذه الفترة هو إحياء الفرس آدابهم وفنونهم ولغتهم ، إذ

¹ -محمد ،سهيل طقوس، تاريخ الدولة العباسية ،دار النفائس،لبنان، ط2007، 7، ص188.

² -مصطفى الشعبة، المرجع السابق،ص28.

³ -محمد سهيل طقوس، المرجع السابق،ص191.

ترجمت العديد من الكتب من العربية إلى الفارسية ، هذا وقد عرفت بولائها للخلافة العباسية.

" وقد كان لبديع الزمان صلة وثيقة بدول ثلاث هي : الدولة الزيارية التي قامت في طبرستان الواقعة جنوبي بحر قزوين، واستمر سلطانها من (316هـ-470هـ) كانت صلة هذه الدولة وثيقة بالأدبين العربي والفرسي ، من أهم ملوكها الكاتب البارع قابوس بن وشكمير " الذي حكم مابين 366هـ إلى غاية 403هـ"¹

أما الدولة الثانية فهي دولة بني بويه وهي أعظم الدول الصغيرة خطرا في تاريخ الخلافة العباسية ، والتي كان لها الأثر البالغ في تاريخ الأدب العربي ،وقامت في أرض المشرق في القرن الرابع هجري وبالتحديد سنة 320هـ،" فقد بلغ النفوذ البويهي شأنا كبيرا بعد أن سيطر البويهيون على بغداد ، وفقدت مؤسسة الخلافة العباسية دورها القيادي تماما ، وأصبحت الخلافة وسلطتها في ظل هذه السيطرة البويهية قليلة الشأن ، ولم تعد شيئا مذكورا، وإنما غدت صورة شاحبة لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا وتفتتت الحاضرة المركزية واستقلت عنها الحواضر المختلفة ، وتقسمت السلطة الكبيرة الواحدة في بغداد إلى سلطات متعددة، وأصبح كل سلطة حاضرة ترى في نفسها الجدارة أن تكون على شأن لا يقل عما كانت عليه حاضرة بغداد ،وغدت شيراز حاضرة الدولة البويهية في فارس ، وقد قامت دولتهم وامتدت حتى شملت

¹ -مصطفى الشكعة، المرجع السابق،ص28.

العراق وفارس وخراسان وكان أعظم ملوكهم عضد الدولة (372هـ) وخلفه ابنه شرف الدولة ومن ثم بهاء الدولة وبقيت هذه الدولة قوية مرهوبة حتى أزاحها السلاجقة حوالي منتصف القرن الخامس هجري".¹

ظهور الدولة البويهية على مسرح الأحداث كان في أوائل القرن الرابع ، وامتد سلطانهم حتى شمل العراق ، وقد تشاركوا مع الخلافة العباسية في الحكم .وفي عهد بني بويه ساد الضعف في الخلافة العباسية وفقدت هيبتها إذ انتقلت السلطة الفعلية إلى الأمراء البوهيين في حين أضحى الخليفة مجرد ألعوبة في أيدي البوهيين .

أما الدولة الثالثة فهي الدولة الغزنوية" والتي ظلت تحكم إقليم غزنة مدة قرن ونصف من الزمان ، تابعة اسمياً للدولة السامانية التي كانت بدورها تابعة للخلافة . وفي (366هـ) بايع أشرف غزنة وجندها الأمير سبكتكين الذي لم يلبث أن رنا بطرفه إلى الهند ، فتوجه إليها فاتحاً أكثر من مرة بصحبة ابنه "مجمود" الذي لم يتجاوز العقد الثاني من عمره ، وشهد انهزام "صاحب لاهور" أمام أبيه".²

وفي عام (384هـ) "محمود" حكم خراسان من قبل السامانيين إلا أن أباه مات بعد ذلك بعامين تاركاً الخلافة لابنه "إسماعيل" وهذا الأمر جعله يغار من أخيه

1- عبد الرحمن ياغي، رأي المقامات ، دار الفكر، عمان، الأردن، دط، 1995، ص30.

2- مصطفى الشعكة، المرجع السابق، ص30.

ويعلن الحرب عليه إلى أن هزمه فدانت له غزنة غير تابع للسامانيين فأدال دولتهم وأنعم عليه الخليفة "القادر" بلقب "أمين الملة" سنة (393هـ).

ولم تتوقف شهرة السلطان "محمود" عند هذا الحد بل عرف بتدينه الشديد وإخلاصه لمذهب أهل السنة وتشجيعه للعلم والأدب إضافة إلى فتوحاته المتلاحقة للهند التي بلغت اثنتي عشرة غزوة لم يهزم فيها مرة واحدة فكان أول من نشر الإسلام في تلك البلاد .

وقامت في حلب دولة صغيرة أو إمارة "بني حمدان" التي أسسها سيف الدولة علي ابن أبي الهيجاء الحمداني ، وقد قامت هذه الإمارة في الثلث الأول من القرن الرابع وانتهت في نهاية (333هـ - 394هـ) وإذا نظرنا إلى هذه الدول الصغيرة نجد معظمها يعترف بسلطان العباسيين ، فكان السلطان مطلق النفوذ والحرية ، وهو يعتبر سلطانه غير شرعي ما لم يثبته الخليفة بالاعتراف به ¹.

وأغلب دويلات المشرق كانت تعترف بالخليفة العباسي عدا الطاهريين والصفاريين فقد كانوا يثورون حيناً ثم يرجعون ، حتى تلك التي كانت مخصصة لأهل الشيعة لم يمنعها هذا المذهب من الاعتراف بالخلافة العباسية باستثناء دول المغرب ومنها الأدارسة والفاطميون وبنو أمية بالأندلس ، فلم تعترف بالخلافة العباسية .

¹ - ينظر: المرجع السابق مصطفى الشعبة ، ص31،30.

هذه لمحة سريعة عن الحياة السياسية إبان العصر العباسي ، حتى نتمكن من استبيان أثرها في الحياة الأدبية عامة وفن البديع المتمثل في المقامة بصفة خاصة .

مما لاشك فيه أن هناك صلة وثيقة بين الحياة السياسية والاجتماعية ، ذلك أن الحياة السياسية تنعكس دائما على أدب العصر وتؤثر فيه .ورسم صورة حية نابضة للعصر الذي عاش فيه " الهمذاني" سيمدنا بلا شك بالخلفية التي استقى منها هذا المبدع فنه ،ذلك أن الأدب في نهاية المطاف ابن زمانه ومكانه .

وكان لاختلاط العرب بالفرس أثر كبير على الحياة الاجتماعية، إذ نقلت هذه الأخيرة عاداتها وتقاليدها إلى البيئة العربية ،والتي انبهر بها العرب فراحوا يقلدونها وأصبحت جزء من حياتهم اليومية .وهذا نتج عنه تفشي ظواهر سلبية عديدة والتي يحدثنا عنها " نور عوض" فيقول:"وقد مهد تغلغل العناصر الفارسية والأجنبية الطريق لحياة لم يعرفها العرب في صحرائهم إذ بدت ظاهرة الجواري والقيان والغلمان والحانات والتفنن في صنع الخمر ، وسائر ألوان الإباحة التي تفرضها حياة التحرر و البذخ والتي نقلها الفرس من واقع حياتهم القديم"¹

"كما أن انقسام الدولة الإسلامية في هذه الفترة إلى دويلات صغيرة شبه مستقلة لكل منها أميرها ووزرائها من غير العرب جعل مجالسهم ترتبط بعادات خاصة ، وأدخل

¹ -يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب ،مكتبة الطالب الجامعي ،مكة المكرمة ، ط2 ، د ت ،ص32.

الخلفاء في بغداد على بلاطهم ألوان من الترف والنعيم لم يكن للعرب عهد بها من قبل، ففتنوا في إنشاء القصور والحدايق التي حاكت الجنان فتنة وجمالا. وإذا انتقلنا إلى حياة وزراء بني بويه وجدناهم يحيون نفس الحياة ويعرفون أنفسهم في الكماليات التي تدل على بذخ مفرط وإسراف معيب".¹

والشواهد على ذلك كثيرة منها " أن رسولا من ملك الروم زار الخليفة المقتدر فوجد عنده أحد عشرة ألف عبد خصي ،ورأى شجرة من الفضة وزنها خمسمائة ألف درهم عليها طيور مصنوعة من الفضة تصفر من تلقاء نفسها وغيرها من حياة الترف." ولعل هذا المثال كاف حتى نتبين مظاهر الثراء والبذخ التي كانت تعج بها قصور خلفاء بني العباس ، إذ كان للمظاهر أثرها في النفس وهذا جعلهم يهتمون بها أشد الاهتمام حتى وصل بهم الأمر إلى المبالغة و الإسراف.

هذا وقد اتسمت الحياة الاجتماعية في تلك المرحلة بنفس الميسم الذي اتسمت به الحياة الاجتماعية في عهد سلطة بغداد ، فجلبوا القيان والظرفاء وهم طائفة من الطبقة الأرستقراطية استهوتهم حياة اللهو والترف، فاستنوا لأنفسهم أسلوبا خاصا في الحياة يتراوح بين أساليب لبسهم وأكلهم ومعاملتهم ،فوضعوا إتكيت في الأكل ووضع الموائد واستعمال السواك وتزيين أماكن الشرب ووضع الأزهار ، وأصبح لهم وضع

¹ مصطفى الشكعة ، المرجع السابق ، ص32.

خاص في المجتمع العباسي فلا تحلو المجالس إلا بهم ولا يطيب الأنس إلا

بأحاديثهم".¹

وقد بالغ أصحاب هذه الطبقة الأرسقراطية حتى في مراسيم الطعام ، فقد بلغ

أكلهم حدا من التعقيد كما يصفهم "شوقي ضيف" بقوله : "وكانوا يضيفون إلى

طعامهم أنواع الطيب وماء الورد والتفاح وحب الرمان والزعفران ، وحين يرفع الطعام

كانوا يغسلون أيديهم بمناديل ألين من القز وأنعم من الخز ، ثم تزين المائدة بالجوز

واللوز المقشورين وأنواع الحلوى والفاكهة والأزهار والأنوار".²

إلى جانب ذلك فقد انتشرت ظواهر سلبية في المجتمع العباسي منها : " ذبوع

المجون والخلاعة والمجالس الإباحية ، فوجدت قصائد يتصعب لها الجبين عرقا لما

احتوته من تصريح وإباحة والشواهد على ذلك كثيرة فمثلا نجد "الأصفهاني" نفسه

يكثر في كتابه "الأغاني" من ذكر القصص الإباحية ، كما أن " الببغاء" الكاتب

الشاعر يقص علينا في بعض رسائله قصص مجونية فاضحة قضاها مع أحد

الغلمان مما يدل على انحلال الأخلاق وفساد المجتمع".³

¹ -يوسف نور عوض ،المرجع السابق ،ص34.

² -شوقي ضيف ، عصر الدول والأمارات ،دار المعارف،مصر ،دط ، سنة 1958 ،ص256.

³ مصطفى الشكعة ، المرجع السابق ، ص36.

والمتمثل لقصور الخلفاء في مختلف العصور يرى كأنها "مقاصف للشراب والسماع والغناء، وبالمثل قصور الأمراء والوزراء وكبار أصحاب المناصب في الدولة وعلية القوم، وتورط فيها بعض القضاة عن طريق النبيذ المحلل، إضافة إلى تورط كثير من علماء اللغة وغيرهم أمثال "ابن دريد" الذي كان يعكف عليها عكوفاً شديداً، يقول أبو حفص بن شاهين: "وكنا ندخل عليه فنستحي مما نراه من العيدان المعلقة والشراب وقد جاوز التسعين". والمتصفح لكتاب "الأغاني" يحس أن بعض الناس أدمنوها وكانوا يعقدون لها المجالس في المساء والليل والصبح".¹

لكن هناك من النقاد من حاول تحليل هذه الظاهرة بعمق، ومن ثم الوقوف على أسبابها يقول "عمر فروخ": "اتسع اللهو وتعددت أنواعه فخرج في كثير من وجوهه إلى الاستهتار والمجون وعلى أن المفكرين هولوا في وصف ذلك اللهو ومدى انتشاره، ويضيف: إن أهوال اللهو عامة موجودة في كل زمان ومكان، ولكنها تستمر في عصر القوة السياسية ثم تظهر وتشتهر في عصر الضعف السياسي وهذا ما جعل اللهو شائعاً في القرن الرابع الهجري، حينما فقد العرب سلطانهم وتقسّم الحكم الإسلامي إلى دويلات متنازعة".²

¹ -شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ط8، دت، ص92.

² -عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: الأعصر العباسية، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، دت، ص406، 407.

فد يتبادر إلى الأذهان أن العصر العباسي كان عصرا ملحدا ، أصبح فيه الإسلام غريبا بعد تفشي الظواهر السلبية من مجون وانحلال أخلاق ... لكن يجب أن لا تعمم هذه الظواهر على المجتمع العباسي ككل لأنه مجتمع تمسكت فيه الطبقة العامة بالإسلام ولم تلتف إلى ذلك الترف رغم ما كانت تعانيه من حرمان." فإذا كانت الحانات اكتظت في بغداد وسمراء وغيرهما من مدن العراق بالخمير والقيان والضرب على الآلات الموسيقية وشاركتها في ذلك البساتين والأديرة من بعض الوجوه فإن المساجد في سامراء وبغداد كانت مكتظة بالعباد والنسك وكانوا لا يزالون يذكرون بالله واليوم الآخر".¹

ويذكر "أحمد أمين " خلاصة تاريخية عن وفرة المال والترف في بلاط الخلفاء وقصور الأمراء والخاصة، ويقول: "أما الشعب فأكثره بئس وفقير. وقد كان هناك طبقتان متميزتان كل التميز: فالخليفة ورجال دولته وأهله وأتباعهم طبقة خاصة ، وهم عدد قليل بالنسبة لمجموع الأمة، وبقية الناس وهم الأكثر طبقة العامة من علماء وتجار وصناع ومزارعين وأغلب هؤلاء فقراء إلا من اتصل منهم بالخلفاء والأمراء".²

من خلال ما ذكرناه نستنتج أن الحياة الاجتماعية كانت ذات قطبين: الأول: تمثله الطبقة الأرستقراطية والثاني تمثله الطبقة الدنيا في المجتمع وشتان بين الطبقتين.

¹ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، ص105.

² -عبد الرحمن ياغي ، المرجع السابق، ص38.

ويصف لنا "الفاخوري" أحوال الطبقة المحرومة إذ يقول: "والى جانب هذه الطبقة، طبقة عامة الناس التي تعيش في فقر مدقع، وذل موجه تنهشه المجاعات نهشا ويمزق أحشاءها الجوع تمزيقا".¹

ويضيف "الفاخوري" قائلا: "وقد كثر فيها الاستعطاء والتكدي وزال من نفسها الشرف، فانقلبت تندب سوء الحال وتحقد على الدهر ورجاله، وتطلق أنين الشكوى وتلبس لكل حال لبوسا، وتتوسل بكل وسيلة تبلغ الغاية، وهكذا أطبق التشاؤم على هذه الفئة من الناس ورأت في الكذب والحيلة أنجع دواء، فانحطت الأخلاق وشاعت اللصوصية وأصبح التلون زي العصر وميز المجتمع".²

ولعل أهم من يمثل هذه الطبقة "طائفة العلماء الذين روى" أبو حيان" في كتابه "الإمتاع والمؤانسة" شيئا من أخبار بؤسهم وذنكهم، إذ وصل الحال ببعضهم أن باع أعز ما يملك من أجل أن يقتات كما فعل "أبو علي القالي" الذي دفعه الحرمان إلى بيع نسخته الأثيرة من الكتاب الجمهرة³. وأبي سليمان المنطقي أدق العلماء نظرا، وأقدرهم غوصا وأصفاهم فكرا كما يقول عنه تلميذه "أبو الحيان": عجز حوله

1- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، ص 631.

2- المرجع نفسه، ص 631.

3- يوسف نور عوض، المرجع السابق، ص 36.

وقوته وعلمه عن أن يدبر وجبة غدائه وعشائه وأجرة مسكنه... وغير هؤلاء كثير

عني صاحب "ظهر الإسلام" بالحديث عنهم.¹

هذا فيما يخص الصنف الأول من العلماء والأدباء أما الصنف الثاني فقد فضل

الاتصال بالخلفاء والعيش في كنفهم ، يدافع عن الدولة والخليفة حتى يصيبه بعض

من عطفهم فيغدقوا عليه بالأموال يقول "علي عبد المنعم": "وصنف أتيح له أن يتصل

بالأمراء ويخالط الوزراء ، يحيا في كنفهم ويتقلب في أعطافهم ، مستطيا ما

استطابوا، كارها ما كرهوا ينعم بلذائذ الحياة المادية ما وجد إلى ذلك سبيلا".²

معنى ذلك أن الأدباء والعلماء انقسموا إلى صنفين: الصنف الأول كان مواليا للخلفاء

وعاش عيشة هنيئة مترفة ، والصنف الآخر عانى الفقر والتهميش واللامبالاة .

وقد وجدت ظاهرة أخرى في البيئة العباسية أدت إلى تدهور الأمر بالنسبة

للكثيرين، ألا وهي ظاهرة المصادرة "فقد أمر إسحاق بن إبراهيم" أن ينظر له رجلين

أحدهما يوليه ديوان الخراج والأخر يليه ديوان الضياع أو المصادرة . والشواهد عليها

كثيرة أشهرها مصادرة المعتمد للوزير أبي الصقر بلبل".³

¹ علي عبد المنعم عبد الحميد، المرجع السابق، ص33.

²-المرجع السابق شوقي ضيف، ص32.

³-مصطفى الشكعة ، المرجع السابق، ص36.

ونتيجة الحال السيئ الذي آل إليه أمر الفئة الفقيرة، انتشرت اللصوصية وغاب الأمن، وانتشرت السرقة وعم الخوف. وفي إطار هذا الحديث يخبرنا "مصطفى الشكعة" عن الحال الذي آلت إليه بغداد قائلا: وقد كثرت الحوادث اللصوصية في ذلك العصر فقد استطاع ابن حمدي وهو لص ببغداد على رأس جماعة من أصحابه أن ينهب أموال الناس، وكان ذلك بتشجيع ابن شهرزاد كاتب القائد التركي، ومضى على الناس في أيام ابن حمدي وقت تحارسوا فيه بالبوقات في الليل، وامتنع عليهم النوم خوفا من كبسات هذا اللص وأصحابه، وخلت المنازل ببغداد من أهلها وصاروا يطلبون من يسكن الدار بأجرة يعطاها.¹

إلى جانب هذا ظهر تيار الشعوبية الداعي إلى تمجيد الماضي وذكر مناقب الأسلاف يقول "شوقي ضيف": "وظلت نيران الشعوبية مستعرة، إذ مضى كثيرون يشيدون بفضائل الشعوب القديمة وحضارتها ومدنيتها، وفي مقدمتها الفرس بسياستهم وآدابهم والروم بعلومهم وفلسفتهم، والهند بمعارفها الرياضية وغير الرياضية، وانضم لهذه الدعوة كثيرون من أبناء الشعوب الأخرى وكأنما ذهبت أدرج الرياح مناداة الإسلام بهذه الفوارق العصبية بين القبائل والفوارق الجنسية بين الشعوب، وكأن هؤلاء الشعوبيون كانوا يبتغون أن يحدثوا صداعا لا يلتم بين أفراد الأمة."²

1- مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص36.

2 شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، ص97.

كما كانت في القرن الرابع عدة ظواهر اتخذت شكلا خطيرا أهمها المتاجرة في الرقيق والجواري ، فقد نشطت هذه التجارة وكانت مصر وجنوب الجزيرة العربية وشمال إفريقيا أكبر أسواق الرقيق السود ، وكان أغلبهم يرسلون إلى العراق ، وتطور مسألة الرقيق يسيطر الجواري على قصور سادتهن ويكثر الدس وتشيع الجاسوسية¹. وقد كان للرقيق دور هام في الحياة العامة ، فمنهم الجنود الذين أخذوا يرتقون في المناصب إلى أن صاروا قوادا، ومنهم من كلف من قبل سيده بأعمال خاصة كالزراعة والتجارة.

ومهما يكن من أمر فقد كان للرقيق أثر كبير في الحياة الاجتماعية إزاء القرن الرابع الهجري بتغلغلهم في القصور ونفوذهم إلى قلوب السادة والكبار². ونظرا للرقعة الجغرافية الكبيرة التي تربعت عليها الدولة العباسية ، فقد كان لزاما أن تجمع فيها أجناس مختلفة عربية وفارسية وتركية و رومية وزنجية يقول "الفاخوري": " وكثرت الأجناس والجماعات في هذا العصر وخصوصا في العراق .وليس معنى ذلك أن الأجناس لم تكن موجودة من قبل ، ولكن معناه أن هذه الأجناس والجماعات أخذت تتكاثرت وتتواصل وتتنازع غيرها ، كانت هذه الجماعات من العرب و الكرد

1 - مصطفى الشكعة ، المرجع السابق ، 35.

2 - المرجع نفسه مصطفى الشكعة، ص36، 35.

والفرس والترک والزنج والأراميين والروم وتبدى خطر هذه الجماعات في اختلافها في المذاهب والآراء وفي تنازعها على ذلك الاختلاف ، وخصوصا بعد أن ضعفت سلطة الخلافة المسلمة السنية وعمل بنو بويه على تشجيع الحركات المناهضة لأهل السنة والجماعة ظاهرا وباطنا . وكثيرا ما قاد هذا النزاع إلى الفتنة في الشوارع بين السنة الشيعية أو أتباع المذاهب السنية أنفسهم.¹

كانت هذه لمحة سريعة عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية إبان القرن الرابع الهجري، والتي صورنا من خلالها حياة الأمراء و الوزراء وكذا العامة من إسراف وترف إلى جانب فقر وحرمان ، هذا هو العصر الذي أجمع كثير من الباحثين على أنه عصر المتناقضات.

لا ننسى أن بديع الزمان قد عاش في ظل هذه المقومات الاجتماعية والتي نتج عنها أدبه والذي تأثر بها ، فنجد تارة مصورا فوتوغرافيا لها ومرة أخرى ناقد لادغا وفي أحيان أخرى مقلدا لها.

اعتبر المؤرخون أن العصر العباسي هو أخصب القرون من حيث الناتج الفكري والثقافي وذلك نتيجة للازدهار الثقافي الذي شهدته شتى الميادين ،'فالحياة الثقافية بصفة عامة في العصر العباسي لم تكن موازية لذلك التردّي السياسي ، والانحلال الاجتماعي، وإنما كانت تسير بخطى حثيثة في اتجاه عكسي، فبقدر ما كانت الهوة

¹ - عمر فروخ ، المرجع السابق، ص35.

التي هوى فيها الوضع السياسي ،وانحدر إليها الوضع الاجتماعي عميقة سحيقة

،بقدر ما كانت القمة التي ارتفع إليها الوضع الثقافي سامقة عالية .¹

وفي ذات الصدد يقول "عبود مارون": "لقد كان هبوط الخلافة في القرن الرابع ارتفاعا

للأدب فلولا هذه الحضارات التي تدفقت منها الأموال كالأنهار لم يبدع البديع

مقاماتها التي كان لها أبعد الأثر في الأدب العربي".²

نجد أن الحياة السياسية والثقافية لا تسير جنبا إلى جنب ذلك أن فترة الضعف

السياسي منذ القرن الرابع تزامنت مع ارتفاع سهم العلوم والآداب فكانت هذه الفترة

هي الأخصب فكريا وثقافيا .

"وقد راح الخلفاء العباسيون يشجعون العلماء بكل ما أوتوا من حكمة وأموال على

التنافس في ميادين العلم فقد أغدقوا على علماء الأمة من الأموال الشيء الكثير

ومنحهم العطايا الجزلة ،وقد جرى في ذلك الولاة وكبار الدولة فكان أول من سن

ذلك وجعله تقليدا للدولة المهدي فإنه أكثر من مكافأته للعلماء إكثارا جعلهم يشدون

إليه الرحال من كل بلدة واحتذاه في ذلك ابنه الرشيد فيقال: "إنه وصل الأصمعي يوما

بمائة ألف درهم وكان من المحظوظين لدى البرامكة ."

1 - علي عبد المنعم عبد الحميد، المرجع السابق، ص35.

2 - عبود مارون ،بديع الزمان الهمذاني ،مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، مصر، دط، سنة 2013، ص16.

غير أن المأمون فاق غيره من الخلفاء في هذا المجال ،ذلك أنه فتح المجال أمام قواده ليغدقوا الأموال على العلماء ،فهذا طاهر بن الحسين قائده على خراسان وواليه عليها وصل عبيد القاسم بن سلام بألف دينار.¹

وقد أطلق المؤرخون على هذا العصر اسم العصر الذهبي للأمة الإسلامية حيث أعطى للفكر العنان وهذا كان له الأثر الايجابي في ازدهار العلوم .

وعند استعراض الحياة الأدبية في مختلف دويلات القرن الرابع نجدها مزدهرة يربعاها الحكام والأمراء الذين يخصون الشعراء والكتاب بالمنح والتشجيع والعطف والتأييد مما جعل من تلك الفترة عصر الحياة الأدبية الرفيعة المترفة فمثلا إمارة بني حمدان في حلب والموصل والتي شجعت الأدباء وكان على رأسها "علي بن أبي الهيجاء الحمداني" (سيف الدولة) فقد كان شاعرا أدبيا مكرما للعلماء والأدباء ولذلك التف حوله وعاش في بلاطه ما لم يعرف عن أمير آخر حتى في القرون السابقة ويكفي أن يكون "المتنبي" شاعره لتسع سنين وكذا "أبو فراس"... ويكفي أن يطرق بابه كاتب زمانه "أبو بكر الخوارزمي" والفيلسوف "أبو نصر الفارابي" لنعرف أي نوع من الازدهار صادفه الفكر والأدب في هذه الإمارة .

1-رابعة عبد السلام المجالي،ملاحح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ،ط1،سنة2008،ص16،17.

وكذا هو الشأن في دولة بني بويه التي قامت في أوائل القرن الرابع والتي كان حكامها ورغم عجميتهم محبين للعلم و العلماء وكانوا ممن يعنون بالأدب العربي، فمنهم من نظم الشعر ، وسلموا أمور ولاياتهم إلى جماعة من أئمة الأدب العربي، وفي هذا القرن كان "أبو الفضل ابن العبيد" الكاتب والشاعر وزير لركن الدولة وقد لقب "بذي الرياستين" ومدحه "المتنبي" الذي ترفع عن مدح كثير من عظماء عصره.¹

وكان للحرية التي وهبها الخلفاء لرعيتهم أثر كبير على منحى الحياة الثقافية فقد اجتمع في هذه الفترة عشرات المئات من الأدباء والمفكرين والفلاسفة ولم يحصل أن اجتمعت في قرن عشرات المئات من الأدباء والمفكرين كما اجتمعت في هذا القرن الذي وهب لهم الحرية باختيار كل أديب نمط تفكيره وطريقته في التعبير. "إن عصرا عملت فيه ألف ليلة وليلة أو قصة عنتره لهو عصر يستحق أن يسمى زبدة الحقب كما قال " أبو تمام" في وقعة "عمورية": "ما رأيت عصرا حفل بالأدب والعلماء والشعراء كهذا العصر، أليس هو عصر المتنبي وابن العميد وابن عباد والخوارزمي ... وبديع الزمان."²

لقد شهد هذا العصر اهتماما شديدا بإقامة المكتبات وتأليف الفهارس وصرف الأموال الطائلة على جمع الكتب والباحثين والمؤلفين وتخصيص رواتب شهرية لهم

¹ -ينظر: مصطفى الشعبة، المرجع السابق، ص43، 42.

² - عبود مارون ، المرجع السابق، ص17.

لكي ينقطعوا إلى التأليف فقط وتعطينا المراجع التاريخية شواهد مهمة حول ذلك جرت في القرن الرابع الهجري، وفي أيام "الهمذاني" اشتهرت مكتبة الوزير "سابور بن أرشيد" في بلاط بني بويه التي تم تأسيسها عام 383هـ بالكرخ غربي بغداد، ووقفها على العلماء، واشترى لها كتباً كثيرة بلغت عشرة آلاف وأربعمائة مجلداً كان معظمها بخط أصحابها وكان بها مئة مصحف نفيس، وهناك مكتبة الشاعر المعروف الرضي التي فتحها للطلاب والباحثين، ورصد لهم جميع ما يحتاجونه. وكانت هناك مكتبة الوزير "ابن العميد" في مدينة الري، وكان لتلك المكتبة فضل كبير على العلم والأدب، ومما يجدر ذكره أن القيم على هذه المكتبة كان أحد فحول الأدب في عصره، ألا وهو "مكسيويه".¹

"وهذا جعل مهنة الوراقة تنتعش بعد أن أصبحت الكتابة على الجلود غير كافية، لذا أخذ الورق ينتشر وعم استخدامه في ذلك العصر هذا كان أهم أسباب التقدم العلمي وبلوغ الحركة العلمية غايتها حتى غدت توجد مصانع خاصة للورق كما فعل "الفضل بن يحيى البرمكي" فقد أنشأ في عهد "الرشيد" مصنعا للورق في بغداد، فتفتشت الكتابة فيه لخفته وغلبته على الكتابة في الجلود والقراطيس".²

1- صدام حسين محمود عمر، مقامات بديع الزمان الهمذاني بين الصناعة والتصنع، أطروحة الماجستير في اللغة العربية و آدابها، فلسطين، ص33، 32.

2- رابعة عبد السلام المجالي، المرجع السابق، ص18، 17.

كانت الوراقة وانتشار الورق في العصر العباسي من أهم أسباب تهافت العلماء والأدباء على التأليف لسهولته.

إلى جانب الوراقة كان للمجالس التي كان يعقدها الخلفاء والأمراء دور آخر في إشعال الجذوة العلمية " تلك هي المجالس الخاصة التي كانت تعقد في مجالس الخلفاء والأمراء والسراة، إذ تحولوا بها إلى ما يشبه ندوات علمية يتناظر فيها العلماء من كل صنف ، على نحو ما يروي من مناظرات"الكسائي الكوفي" و "اليزيدي البصري بين يدي المهدي "1.

والأمر الذي زاد ازدهار العلوم والآداب في هذا العصر ما كان بين الأمراء من تنافس كبير في أن يهدي إليهم الكتاب مؤلفاتهم وحرصهم على أن تعمر ندواتهم بالعلماء من أمثلة ذلك السلطان "محمود الغزنوي" سمع أن جماعة من العلماء تقيم عند أحد الأمراء في خوارزم فبعث وراءهم ليلتحقوا بمجلسه وهذا دليل على غيرة السلاطين في أن يكون بلاط غيرهم أكثرهم خصوبة بالأدباء والشعراء من بلاطهم.²

" والخليفة المأمون هو من أفسح للفكر سبيله، وأعطى للنقاش حريته ، فغدا مجلسه مسرحا للجدل وأصحاب الكلام ، فيتقرب إليه العلماء والفقهاء وكان بطبعه خليفة مثقفا متابعا لمستجدات العصر ، فسعى لتطوير أهل عصره من خلال تطوير نفسه

1-المرجع السابق ، ص18.

2-مصطفى الشعبة،المرجع السابق،ص46.

حتى شاع العلم والمعرفة لدى الناس على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم، وشهد الناس هذا الاتصال الخصيب المثمر بين الثقافة العربية الأصلية وبين ثقافات الأمم الأخرى فارسية، هندية أو يونانية وهكذا مضى العلماء في ميدان العلوم لاسيما العلوم العقلية من الرياضيات وطب وتنجيم وفلك".¹

أما فيما يخص العلوم فقد بلغ التفكير الإسلامي حده الأقصى، ونضجت العلوم وصنفت الكتب في مختلف الفنون والأغراض فكتب "ابن جني" الأبحاث الفلسفية في أصول النحو واشتقاقات اللغة أحكام حروف الهجاء وما يصيبها من إعلال وقلب وإبدال.²

ووضعت المعاجم اللغوية الكبيرة نتيجة لكثرة المصطلحات العلمية وأصبحت الحاجة ملحة إلى جمعها والتعريف بها وهو ما جعل "الشريف الرضي" يتجرد لوضع كتاب يفي بهذه الحاجة وهو كتاب "التعريفات" والذي أوضح فيه الاصطلاحات العربية مرتبا على حروف المعجم، وفي هذا القرن وضع "الخليل" أول نسخة من كتابه "العين" وثاني معجم ألف هو "الجمهرة لابن دريد". وازدهرت الفلسفة الإسلامية واستقلت عن الفلسفة اليونانية بميزة توفيقية خاصة ونبع الفلاسفة الكبار كابن سينا.³

¹ -ينظر: رابعة عبد السلام المجالي، المرجع السابق، ص18.

² -بطرس البستاني، أدباء العرب في العصر العباسية، دار عبود مارون، بيروت، دط، 1979، ص408.

³ ينظر: شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص528.

الملقب بالمعلم الثالث بعد "أرسطو" و " الفارابي".ومن أشهر ما كتب القانون في الطب وكتاب الشفاء في الإلهيات وعلوم الطبيعة والرياضيات و قد كان الكتاب عماد الغرب في دراساتهم الطبية. أما " البيروني " فقد اتجه إلى الرياضيات والفلك وحذقهما حذقا رائعا وعاش في رعاية "قابوس" ثم صحب محمود الغزنوي وتعلم اللغات السنسكريتية ودرس فيها الفلسفة وعقائدها إضافة إلى التنجيم والتاريخ ولعل أشهر مصنفاته القانون المسعودي في هيئة التنجيم سنة (321هـ) الذي ألف للسلطان " محمود " ¹.

وضلت طول العصر علوم الأوائل نشطة في مقدمتها الرياضيات والفلك ونجد في الفلك "أبو جعفر الخازن الخراساني" الذي له كتاب في الفلك وصف فيه عددا من آلات الرصد الفلكية ونهضت العلوم الطبيعية،فقد أدخل"ابن الهيثم أساليب على الجبر والحساب وهذا في مجال الرياضيات وطابق بين أحكام الهندسة والمنطق.وبعد شيوع الطب شاعت الصيدلة واخترعت الأدوية وأصبحت الكيمياء علما ثابتا وألفت الكتب النفيسة في علوم النجوم وشرع العلماء يرحلون لمراقبة الخسوف والكسوف".² أما الجغرافية فكانت مختلطة بالتاريخ غير منفصلة عنه ،وقد زادت مادتها بفضل الرحلات ، فأضيف إليها جهات جديدة ،منها في أواسط إفريقية ومنها داخل أسيا

¹ المرجع السابق ص528.

² - ينظر بطرس البستاني، المرجع السابق، ص 408.

وشاع رسم الخرائط وكان "المسعودي" أشهر من اشتغل بالتاريخ والجغرافية ومن

أثاره كتابه الموسوم "بمروج الذهب"¹

كانت هذه لمحة خاطفة عن بعض العلوم والانتعاش الأدبي الذي ساد في العصر العباسي بصفة عامة وحاولنا التركيز على القرن الرابع للهجري نظرا للرقى العلمي والأدبي آنذاك. وبعد هذه النظرة الشاملة نتحدث عن النثر الذي بلغ مكانة راقية في هذا القرن.

"فقد كان للنثر النصيب الأوفر من هذا الازدهار الثقافي، إذا بدأ يكتسح المواقع الشعرية بعد احتكارها الطويل للمسامع والنوادي وقصور الخلفاء والأمراء، فوثب وثبة واسعة موفقة في شكل ومضمونه، ذلك أن لغة العقل هي النثر، وتفكيره نظري، لا تعوقه قيود الأعراف والتقاليد في حين أن الشعر لغة العاطفة التي تتجاذبها الأعراف وتتعاورها التقاليد الاجتماعية فتقيد حركاتها، وتعوق سيرها ومن ثم كان الشعر دائم التلفت إلى الوراء لكن النثر ماض إلى الأمام. والأمر الذي يدفع النثر إلى سرعة الإجابة إلى التطور، بقدر ما يقف بالشعر، ويبطئ حركاتها"².

هذه الأسباب الكامنة وراء تطور النثر وعلو مكانته بين الأدباء والخلفاء وتفضيله على الشعر لأنه موافق للسليقة.

1 - بطرس البستاني المرجع السابق، ص409.

2 - علي عبد المنعم عبد الحميد، المرجع السابق، ص37.

وتجمعت في القرن الرابع الهجري خصائص أدبية كثيرة انفرد بها النثر، يتحدث عنها "مصطفى الشعبة" نوجزها في بضعة أسطر :

ولعل أهم ميزة انطبع بها النثر في القرن الرابع هي التزام السجع في رسائلهم حتى المطولة منها ، وقد بالغوا في استخدام المحسنات اللفظية وأكثروا من الاستعارات والتشبيهات وجسموا المعاني وتلاعبوا بالألفاظ واعتنوا بالصنعة لفظا وتعبيرا إلى درجة كبيرة . غير أنه لا يمكن القول أن جميع أدباء العصر العباسي التزموا هذه الميزة ، إذ أن هناك من كان يفر منه مثل "بن العميد" و "أبي حيان التوحيدي" في حين أن هناك من لم يخدم النثر نتاجهم لأنهم كتبوا في التاريخ أو اللغة وغيرها أمثال "مكسويه" و"الجرجاني" وقد تضمنت رسائلهم الكثيرة من أطايب الشعر ومختار اللغة وكانوا يفتتحون رسائلهم في أحايين كثيرة ببيت من الشعر ، ومنهم من كان يفتتحها بالحمدلة ومنهم من يختمها بالشعر ، أضف إلى ذلك أن النثر قد أخذ خصائص الشعر واحتلت الرسالة أغراض القصيدة في الموضوعات التي يطرقها الشعر من وصف وغزل وفخر ومدح ، وهذا لتحلل النثر من البحور والقوافي و الاكتفاء بالسجع والجناس وهذا فسح لهم المجال للوصول إلى ما عمدوا اصطناعه من تعابير نثرية مترفة صورت خوالج أحاسيسهم¹.

¹ - ينظر: مصطفى الشعبة، المرجع السابق، ص261، 262.

مدخل: البيئة العباسية و أثرها في فن البديع

ولعل أهم الفنون النثرية الذي التحمت فيه هذه الصفات في هذا الفن المقامة التي

ابتدعها بديع الزمان الهمذاني وذاع صيتها مما جعلها تحتل مكانة هامة فما هي

المقامة؟ وإلى من ترجع في نشأتها؟ وماهي المصادر التي استقت منها مادتها

الأولى؟



أهل البيت لا يطعنوا بطرفه لم يأتى لا شذك ولا هج سئى س:

1- فلهم لهذ:

آ- كغ ب: يتطلب تحديد مفهوم مصطلح المقامة بدقة الرجوع إلى معجم لسان العرب
لنستوضح الأمر ، يقول ابن منظور : "المقامة الموضوع الذي نقيم فيه ، وأما الإقامة
والمقامة بالفتح فهي تعني المجلس والجماعة من الناس قال : وأما المقام والمقامة فقد
يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة ، وقد يكون بمعنى موضوع القيام نحو قوله
تعالى: "لَا مَقَامَ لَكُمْ" أي لا موضع لكم وقرئ لَا مَقَامَ لَكُمْ أي: لا إقامة لكم1 .
ولأن الكلمة أو المصطلح يتغيران بتغير الزمان واختلاف المكان "فقد أستعمله في
المجلس ثم الجماعة الجالسة، ثم سميت الأحداث من الكلام المقامات كأنها تذكر
في مجلس واحد تجتمع فيه الجماعة لسماعها. قال الشريشي : "والمقامات المجالس
لأن المستمعين للمحدث ما بين قائم وجالس ولأن المحدث يقوم ببعضه تارة ويجلس
ببعضه أخرى قال الأعلام : "المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحض على فعل
الخير ."

والمقامة في الجاهلية مجتمع القبيلة، وهي في العهد الأموي أحاديث زهديه تروى
في مجالس الخلفاء. جاء في " الرسالة العذراء " لابن المدبر أن أهل القرن الثالث

الهجري كانوا يعرفون نوعاً من المحاورات الأدبية يسمى المقامات، وهو يوصي المتأدب ويقول: "وانظر في كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب" ويريد

بالمقامات الخطب أو الموعدة التي كانت تلقى في حضرة الخليفة .

ثم انتقل ذلك معنى المقامة إلى كلام الكدية والاستجداء بلغة مختارة، وتناول بديع الزمن الهمداني اللفظ مع ما التصق بها من معنى التسول الأنيق وأنشأ مقاماته.¹

تتمت في هذا الإح:

المقامة فن من الفنون النثرية، ظهر في القرن الرابع الهجري وازدهر في عصر الانحطاط وهي شبه قصة قصيرة مسجوعة في أغلب الأحيان تتضمن نواذر وعظات وقد كان الأدباء يتبارون فيها إظهاراً لبراعتهم الأدبية واللغوية.

يعرفها شوقي ضيف فيقول: "هي من أهم فنون الأدب العربي، وهي قصة بقدر ما هي حديث أدبي بليغ، وهي قريبة إلى الحيلة، وتعتمد أساليب أنيقة وممتازة والغاية منها في بادئ الأمر تعليم وتلقين الناشئة، أما تجليات القصة فهي ضئيلة فيها".² إذن هو لم يصنف المقامة لا في باب القصة ولا في باب الحكاية".

¹-حنا الفاخوري، المرجع السابق، ص.120

²-شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، مصر، ط3، ص.9.

وهي عند محمد غنيمي هلال : "في معناها الأصل **المجلس** ، ثم أطلقت على ما يحكى في جلسة من الجلسات على شكل قصة، تحتوي غالبا على مخاطر يرويها راو عن بطل يقوم بهذه المخاطرات ¹.

وقد عرفها طه ندا: "المقامة في الاصطلاح فن من فنون النثر الأدبي ، وهي في حقيقتها عرض لمهارة المؤلف اللغوية في قالب قصصي تغلب عليه روح

الفكاهة ، والجديد هنا المقامات هو القالب الذي يعرض فيه المؤلف ثروته

اللغوية، والمقامات في حقيقتها عمل لغوي وهي في باب التصانيف اللغوية أدخل ².

وهي عند البستاني: "أقاصيص خيالية مختلفة الأغراض والموضوعات ، فمنها الأدبية ومنها العلمية ومنها الدينية و منها الاجتماعية أو الخلقية ومنها المجونية وفيها سحر شديد ، ونقد لاذع، وفيها ضروب من التخابث والاحتيال للتكسب والتعيش منه، وفيها صور متلونة لطبائع المجتمع وعاداته ³.

إذن المقامة عالجت جميع المواضيع المطروحة آنذاك بالفحص والنقد ولم تنقيد

بموضوع واحد.

¹-محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط3 ، 1973، ص495.

²-طه ندا، الأدب المقارن، النهضة العربية ، بيروت ، دط، 1991، ص174، 173.

³-بطرس البستاني، المرجع السابق، ص389.

هذا وقد عرفها زكي مبارك بقوله: "وهي القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية أو فلسفية أو خطرة وجدانية، أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون".¹

في حين يعرفها الزيات بقوله: "المقامات حكايات قصيرة تشتمل كل واحدة على حادثة لا تستغرق غالباً أكثر من جلسة وتنتهي بعظة . ولحسن الديباجة فيها أناقة والأسلوب فيها المحل الأول".²

وعرفها فيكتور الكك بأنها: "حديث قصير من شطحات أو دوامة الواقع اليومي في أسلوب مصنوع مسجع تدور حول بطل أفاق أديب شحاذ، يحدث عنه وينشر طويته رواية جواله قد يلبس جبة البطل أحياناً، وغرض المقامة البعيد هو إظهار الاقتدار علة مذاهب الكل. أما "آدم متز" فيرى أن مقامات البديع: "تتميز بنزعة خاصة إلى الحكايات القصصية القصيرة التمثيلية التي تغلب عليه الصبغة البلاغية، وكانت ثمرة ذلك مجموعة من المقامات منها واحدة تسمى الرصافية ، وهي معرض تجتمع فيه الاصطلاحات المتعلقة بالمكدين، كما هو الحال في قصيدة أبي دلف".³

وهناك من عرفها بقوله "والمقامات الفنية شكل من أشكال القصة العربية، يرويها راوية واحد يتحدث فيها عن مغامرات بطل واحد رئيسي في الكدية والاستجداء

1- زكي مبارك، المرجع السابق، ص242.

2- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة ، ط1، ص243.

3- إبراهيم السعافين، أصول المقامات، دار المناهل، ط1، بيروت، 1987، ص19.

والسعي إلى الرزق متسلحا بفصاحة لسانه وسعة ثقافته، واستلابه لعقول سامعيه عن طريق ما يجود به عليهم من سحر الكلمة شعر ونثرا. وغالبا ماتكون عبارات المقامة مسجوعة، وزاخرة بالتلاعب اللفظي والزخرف الفني، ويغلب على فن المقامة عنصر الحوار".¹

نستنتج مما سبق أن للمقامة عدة تعريفات متقاربة في معناها مختلفة في مبناها ومن خلالها يمكن استخلاص مفهوم شامل لها: بأنها **حكاية قصيرة، قد تكون في صفتين أو أكثر قليلا بحيث تلقى في مجلس واحد، أسلوبها يتميز بكثرة الصنعة اللفظية تحتوي على كثير من غريب اللغة تشتمل على عظة أو نادرة، لها راو وبطل يعتمد على الحيلة والخداع للحصول على المال.**

2- أشكال المقامة:

فن المقامة كغيرها من الفنون الأدبية، لم ينشأ من العدم، فلم تكتمل صورته التي أتى عليها إلا بعد أن حملت ملامح شكلها ومضمونها من أعمال السابقين، فأضحت هذه الملامح أصولا شكلت أجزاءها أو بعض أقسامها. كما أن البحث في أصلها ليس بالشيء الجديد، فقد ذهب عدد من الباحثين والدارسين إلى بحث في أصول المقامات واعتمدوا في بحثهم على رأي " زكي

¹-داود غطاشة شوابكة وآخرون، دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية، دار الفكر، الأردن، ط1، 2009، ص60، 59.

مبارك"الذي يرى أن البديع اقتفى أثر ابن دريد في الأحاديث، في حين تجاوزه البعض إلى آثار الجاحظ وظاهرة الكدية التي انتشرت في زمن البديع وغيرها من الأصول التي سنحاول من خلال عرضها إبراز مواطن التأثير.

أح كيت ب:

هي أول أصل نتطرق له ويعرفها ابن منظور بقوله: "يقال أكدي: أي ألح في المسألة، ويقال: لا يكديك سؤالي أي لا يلح عليك ومنه قولهم: فلا نحن نكديها أي فلا نحن نلح عليها.

ونقول لا يكديك سؤالي أي لا يلح عليك سؤالي، الشيء، ويقال للرجل عند قهر صحبه له: أكدت أظفارك. قال الفراء: أكدي أي أمسك من العطية وقطع، أكدي: افتقر بعد غنى ومنه يكدي وأكدي قلة عطاءه وقيل: بخل.¹

والكدية قديمة عند العرب عرض لها "الجاحظ" في كتابه "البخلاء" ثم بسط موضوعها "البيهقي" في أوائل القرن الرابع، ووصف المكدين وذكر طبقاتهم وأعمالهم ونواديرهم، "وشاع التكدية في القرن الرابع شيوعاً شديداً نتيجة لظروف الفقر والحرمان التي عانت منها قطاعات كبيرة من الناس والتي أدت إلى ظهور طبقة من المكدين

¹-ابن منظور، لسان العرب، ج15، دار صادر، ط1 بيروت ص217، 216.

والمتسولين غير أن جماعة بعينها تميزت من بين هؤلاء لما اتسمت به من الذكاء والتوسع في الحيلة ، وقد أفاد البديع منها كثيرا في صوغ الأبعاد الفنية لبطله أبي الفتح الإسكندري الذي لا يكاد يخطئ أحد أنه من تلك الجماعة وأما الجماعة فهي طائفة الساسانية¹

فكانوا يضربون في الآفاق من بلد إلى بلد، مبدأهم الغاية تبرر الوسيلة، ويدورون بالليالي كما تدور ، لأن الزمان مشؤوم غشوم، والحمق فيه مليح، والعقل عيب ولؤم، وكان في الساسانية طائفة من رجال الشعر والقصاص ، ورجال النظر في الحياة وما آل إليه المجتمع من سوء، فكانوا يتصرفون تصرفهم عن عقيدة ، ويزاولون مهنتهم في طمأنينة، وفي رأيهم أن البيئة تتطلب هذا التصرف وهذه المزاولة، فالفساد متفش، والحكم في فوضى والدهر في ادلهمام، والعيش في ضيقة تنخر العظام².

نجد أن البيئة العباسية كانت أرضا خصبة نمت وترعرعت فيها الساسانية إلى أن اشتهرت وأصبحت ميزة العصر ، وأصبح لهذه الحرفة مبادئ وأسس تقوم عليها إذا أنها لم تكن أمرا هينا ولكنها علم وفن ودراية ومران ودربة وتلقين، لها أصولها التي لا بد من إجادتها حتى يصير المرء كداء ناجحا، ولها دستورها الذي من أجاده سار في طريقه موقفا، ومن لم يتقنه كتب عليه الفشل الذريع والخيبة الدائمة، ولا بد للمكتدى

¹ -يوسف نور عوض، المرجع السابق، ص89.

² - حنا الفاخوري، المرجع السابق، ص617.

أن يكون محتالا ذكيا فطنا فصيحاً شجاعاً، يتقن الحيلة ويجيد النزال ويحسن القول أمام السلطان، يتحمل المتاعب ولا يتبرم بقيد الأسر أو تعذيب السجون، وهذه الصفات سجد الكثير منها في بطل مقامات البديع".¹

ولعل العلاقة بين الكدية وفن المقامة تتجلى واضحة للعيان في المواضيع التي اعتمدها البديع مادة لمقاماته وعليه يرى شوقي ضيف أن موضوع المقامة عند "بديع الزمان" ليس واحداً، حقا أكثر المقامات موضوعها الكدية والاستجداء، إذ يظهر "أبو الفتح الإسكندري" في شكل أديب شحاذ يجلب الجماهير ببيانه ويحتال بهذا البيان على استخراج الدراهم من جيوبهم"²

وليس من شك في أن الكدية كانت من أول الأغراض التي أدت ببديع الزمن إلى كتابة مقاماته، فارتباط الكدية بالمقامة واضح، وعليه أجمع الدارسون أن الكدية أصل من أصول المقامات، ذلك أن الفكرة الأساسية مستوحاة من أحاديث المتسولين.

¹مصطفى الشعبة، المرجع السابق، ص308.

²-شوقي ضيف، المقامة، ص24.

اتَّخَذَ خُدْعًا مِنْ لَأْسٍ يَلْعَقُهَا "أَمْ لَمْ يَلْعَقْ جَذَجِي":

واشتهر من شعراء الساسانية حينئذ الأحنف العكبري و أبي دلف الخزرجي أما الأحنف فيقول عنه صاحب "اليتيمة": "إنه شاعر المكدين وظيفهم، ومليح الجملة والتفصيل منهم".

وروى له بعقب ذلك قصيدة دالية طويلة عرض فيها حرفة الكدية عرضا واسعا، وأما أبو دلف فيقول عنه: "شاعر كثير الملح والطرف، مشحوذ المدية في الكدية، خنق التسعين في الإطراب والاعتراب وركوب الأسفار الصعاب، وضرب صفحة المحراب بالجراب، في خدمة العلوم والآداب. وكان ينتاب حضرة الصاحب ويكثر المقام عنده. ولم أتخفه بقصيدته التي عارض بها دالية الأحنف في المناكاة وذكر المكدين والتتبيه على فنون حرفيهم وأنواع رسومهم... اهتز ونشط لها، وتبجح بها، وتحفظها كلها وأجزل صلته عليها".¹

وصلة البديع بهذين الشاعرين وتأثره بهما يقوم عليهما أدلة كثيرة فهو في المقامة الأولى يجري على لسان "أبي الفتح الاسكندري" بطل مقاماته هذين البيتين.

وَيْحَكَ هَذَا الزَّمَانُ زُورٌ فَلَا يَغُرَّتْكَ الْغُرُورُ
لَا تَلْتَرِمُ حَالَةً وَلَكِنْ دُرٌّ بِاللَّيَالِي كَمَا تَدُورُ

¹-شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط6، ص249.

وهما من شعر أبي دلف الذي رواه الثعالبي في اليتيمة، وليس هذا كل ما نجده من صلة أو تأثر فإن من يقرأ المقامة الرصافية للبديع يشعر أنه نثر فيها قصيدتي الأحنف وأبي دلف اللتين صورا فيهما حيل المكدين . وقد سمي إحدى مقاماته باسم المقامة الساسانية نسبة إلى هذه الطائفة.¹

وهاتان القصيدتان لاشك أنهما قد فتحتا باب الخيال واسعا أمام بديع الزمان كي ينوع في أساليب بطله أبي الفتح كما رسمها البديع في مقدمته للقصيدة الساسانية التي شاعت في القرن الرابع الهجري واطلع عليها البديع وأعجب بها وبشخصية الأديب المكتدى.²

ثغ آحئبئك خفك:

ودارت حولها أحاديث طويلة فقد تناولتها الدراسات القديمة ووصفتها بالغرابة والعنجهية، ولعل أقدم مصدر تناولها بالنقد والدراسة هو "أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني" في "زهر الآداب". فقد أورد "القالبي" أحاديثه في كتابه "الأمالي" ونستطيع من خلال ما أورده أن نقسم أحاديثه إلى قسمين: أحدهما يغلب عليه الطابع اللغوي، والأخرى يغلب عليه الطابع الأدبي، أما الأول فيغلب عليه الألفاظ

¹-شوقي ضيف، المقامة، ص21.

²-علي محمد السيد خليفة، دراسات في فنون النثر العربي، دار الوفاء، الإسكندرية، ط2013، ص1، ص148، 149.

الغريبة ويتجه اتجاه تعليميا والآخر فيه اهتمام بجمال التعبير ويتجه اتجاه فنيا¹.
"والصلة بين القسم الأول والمقامات منقطعة، أما القسم الثاني فإن الصلة بينه وبين المقامات ضعيفة. ولعل من المفيد أن نشير إلى الأحاديث الدريدية من القسم الثاني فقد ذكر ابن دريد أن أحد الملوك عاش فترة طويلة وهو محروم الإنجاب ، ثم أنعم الله عليه فحملت امرأته وولدت له طفلة، فرباها في قصر لا ترى فيه إلا النساء فلما مات الملك تولت ابنته الحكم. وحدث أن اجتمعت ذات يوم نساء القصر فعرضن عليها الزواج وأخذن يثنين على الزواج والأزواج، فاستمهلتهن سبعة أيام لكي تعرفهن رأيها وبعد ذلك طلبت منهن أن يبحثن لها عن الزوج المناسب. وبعد مدة من البحث جنن إليها يصفن الأزواج ولا يسمينهن، فقالت الأولى: غيث في المحل، ثم في الأزل، مفيد مبيد، يصلح النائر، وينعش العاثر، ويعمر الندي الأبى، عرضه واقر، وحسبه باهر غض الشباب، طاهر الأثواب، ثم قالت الثانية : مصامص النسب، كريم الحسب، كامل الأدب، غزير العطايا، مألوف السجايا، مقتبل الشباب خصيب الجنان، أمره ماض و عشيره راض..."².

ومن الواضح أن هذا الحديث ليس من فن المقامات، وأن الصلة بينه وبين المقامات ضعيفة لانتجاوز تحري السجع واتخاذ الأسلوب القصصي.

¹-محمود عبد الرحيم صالح، فنون النثر في الأدب العربي ، دار جرير ، الأردن ، ط2 ، 168، 2006.

²- محمود عبد الرحيم صالح، المرجع السابق، ص168.

والمتمامل لأحاديث ابن دريد" يجد أنه لم يلتزم في كل أحاديثه السجع ولم يتخذ الأسلوب القصصي فيها كلها. بل أورد فيها الخطب والحكم والنكت الأدبية والفوائد اللغوية، وقد كان يوجز في أحاديثه حتى يكون الحديث في بضعة أسطر، ويطيل في بعضها الآخر حتى يكون الحديث في صفحة أو أكثر ويقتصر على بضعة أبيات من الشعر في بعض الأحيان".¹

إذن يعاب على "الحصري" مقارنته بين عمليين أدبيين متباعدين مهما حاول النقاد التقريب بينهما فهو يعترف صراحة بأن أحاديث "ابن دريد" محشوة بالغريب وهو ما جعل أدبه معقد الأسلوب قصير النفس وصعب الفهم في حين أن مقامات البديع تذوب ظرفاً وتقطر حسناً وتمتاز بعذوبة الألفاظ وروعة الأسلوب وشساعة الخيال.

ويميل إلى هذا الرأي "عبد المالك مرتاض" الذي يقول: "وإنما الغريب في الأمر أن يذهب إلى الموازنة بين العملين الأدبيين: أحاديث ابن دريد مع ما تتسم به من ضيق الأفق ومن غرابة ألفاظ ومن نضوب خيال، ومن جمود تفكير ومن قصر نفس، وبين مقامات البديع مع ما تشتمل عليه من سعة أفق، ومن خصب خيال، ومن دقة تعبير، ومن رشاقة ألفاظ، ومن عذوبة أسلوب، ومن دقة وصف، ومن روعة تصوير للحياة الاجتماعية التي كان يحياها، ومن نقد لاذع للأوضاع التي كان

¹-المرجع السابق، ص169.

الناس يعانون منها ومن خفة حوار ومن ظرافة المواضيع التي اختارها...كيف يمكن أن تستقيم الموازنة بين رجلين: أحدهما لا يهتم حياته إلا ما يدور في البادية وكأن الحياة جعلها الله في صحراء الأعراب وحدهم، وبين رجل يصور ما يضطرب في حياة الإنسانية من بدو وحضر".¹

فليس من الإنصاف في شيء المقارنة بين هذين العاملين، وليس من الصواب القول بأن البديع تأثر كلياً بهذه الأحاديث .

"ووازن "شوقي ضيف" بين أحاديث ابن دريد ومقامات البديع، فنذكر أن ما رواه القالي في أماليه يدور غالباً حول حكايات عربية قديمة، في حين تدور المقامات على التسول والكدية ، غير أنهما ألفت لغاية واحدة هي تعليم الناشئة اللغة".

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الأحاديث لم تؤثر في المقامات البديعية من حيث الموضوع، لكنهما يشتركان في الهدف فقد كان كل واحد منهما يصبوا إلى الإتيان بما استطاعا من غريب اللغة وحشيها، وحشده فيما يكتبانه (المقامات والأحاديث) حتى يستفيد منها النشء لكنهما يشتركان في هدف واحد فقد كان كل واحد منهما يصبو إلى الإتيان بالغريب.

¹- عبد المالك مرتاض ، القصة في الأدب العربي القديم ، دار مكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر، ط1 ، 1968، ص163، 162.

يضيف شوقي ضيف: "كما أن شخصية أبي الفتح خيالية فكذلك شخصية الراوي

عيسى ابن هشام، فهما جميعا من صنع البديع واقتراحه. وهو يبدأ كل مقامة بهذه

الصيغة الثابتة: "حدثنا عيسى بن هشام قال:"،

وهي تدل دلالة قاطعة على أنه حين حاول تأليف هذه المقامات كان في ذهنه أن يقلد طريقة الرواة بل بعبارة أدق كان في ذهنه أن يقلد طريقة ابن دريد في أحاديثه إذ أن "ابن دريد" يبدأ أحاديثه بالسند، وفي نص "الحصري" ما يشير إلى أن أحاديث ابن دريد من مخترعه ومعنى ذلك أن سندها أيضا من مقترحه.¹

ومن ثم فهو يحدثنا عن الشخصيتين المحوريتين التي تتبني عليهما المقامات والمتمثلتان في **البطل الاسكندري والراوية ابن هشام**، فهو يرى أنهما من خلق البديع إبداعه إذ لم يسمع بهما من قبل، ثم يحاول إبراز مواطن التأثير بين البديع وابن دريد فيذكر أن هذا الأخير أثر في الأول بحيث وجهه إلى السند فقط.

"وبشيء من التساهل يمكننا القول أن هذه الأحاديث كانت إحدى **الملهمات** التي ألهمت البديع مقاماته وليست كل شيء في أصول المقامات كما ذكر الحصري في "زهر الآداب" وأيده في ذلك زكي مبارك في كتابه "النثر الفني".²

¹شوقي ضيف، المقامة، ص24.

²مصطفى الشعبة، المرجع السابق، ص299.

3- خ سئ س ط ص ق د ؤ ه أ هـ ع هـ ذ :

أ ط هـ ج سئ س ط ص ق د ب :

تتميز المقامات بجملة من الخصائص والتي يمكن حصرها فيما يلي :

1 ط هـ د ر: بحيث يجب أن تدور حوادث المقامات في مجلس واحد لا تنتقل منه

إلا فيما شذ ونذر (وحدة مكان ضيقة).

2 ط هـ ا ب: لكل مجموع من المقامات راوية واحد ينقلها عن المجلس الذي

تحدث فيه وهو عند البديع عيسى بن هشام وعند الحريري الحارث بن همام.¹

3 ط هـ س كئ: أي أنها تتميز بوحدة البطل، وهو في مقامات البديع أبو الفتح

الإسكندري ، وعند الحريري أبو زيد السروجي.²

" وهو شخص خيالي في الأغلب أبرز ميزاته أنه واسع الحيلة درب اللسان ذو

مقدرة في العلم والدين والأدب، وهو شاعر وخطيب يتظاهر بالتقوى ويضمّر المجون،

¹-عمر فروخ، المرجع السابق، ص413.

²-حسن فالح البكور وآخرون ، في الكتابة وأشكال التعبير، دار جرير للنشر والتوزيع، ط2، 2013، ص183.

يتظاهر بالجد ويضمّر الهزل ، وهو يبدو غالبا في ثوب التاعس البائس، إلا أنه في الحقيقة طالب منفعة.¹

4- **طبع ثب:** (النكة أو العقدة) وهي الفكرة التي تدور حولها القصة المتضمنة في المقام، وتكون عادة طريفة أو جريئة، ولكنها لا تحت على الأخلاق الحميدة دائما، وقد لا تكون دائما موفقة.

5- **طبع سدبفحه:** أي أن كل مقامة تعتبر وحدة قصصية قائمة في ذاتها، والصلة منعقدة بين المقامة والمقامة وما يجمعها هو أن مؤلفها واحد وكذا راويتها وبطلها، ولا يشترط في قصصها أن تكون في أزمنة متقاربة رغم أن راويها واحد.

6- **طبع ضدع بدغى طبعق دلة:** " فن المقامات فن التصنيع والتأنق اللفظي خاصة عند الحريري فهناك إغراق في السجع والبديع من جناس وطباق ومقابلة وفي سائر أوجه البلاغة.²

"أي أن أسلوب المقامة يتقارب بلاغيا و موسيقا من العبارة الشعرية"³ ، وهذا مما يسهل حفظها ويجعلك تطرب وتعجب لما فيها من إيقاع لفظي.

1- عمر فروخ، المرجع السابق، ص414.

2- المرجع السابق عمر فروخ، ص415.

3- حسن فالج البكور وآخرون ، المرجع السابق، ص183.

7 **عنه**: تغلب على ألفاظها الغرابة لما للمقامات من غاية وفائدة تعليمية، فهي

تزود حافظيها بذخيرة لغوية وتعرفهم على غريب اللغة ووحيشها.

8 **عنه**: وفيها تصوير لجوانب مهمة من حياة الناس ونقد مجتمعاتهم

والكديّة (الشحاذة) هي الموضوع المسيطر عليها وهي الصفة الرئيسة في أبطالها.

9 **عنه**: إذ يستشهد المقاميون بالشعر والأمثال وغيرهما من الأساليب

البلاغية لذلك فهي مليئة بالقصص والمواعظ والحكم .

أ- **عنه**: الحق دلة:

إن الغرض من إنشاء المقامات هو التمرن على الكتابة والإنشاء يقول ابن الطقطقي

: "إن المقامات لا يستفاد منها سوى التمرن على الإنشاء والوقوف على مذاهب النظم

والنثر".²

أي أن المقامات وجدت لهدف تعليمي وعندما وضعها البديع كان معلما في نيسابور

يلقى دروس اللغة والبيان على الطلاب ويدربهم على الأسلوب الجميل في الكتابة ،

فكان الأسلوب أسلوب العلم في إطار القصة وجو الفكاهات ، وكانت الطريقة طريقة

النثر في موسيقى الشعر وتضمين الأبيات الشعرية .

¹-ينظر : داود غطاشة الشوابكة وآخرون ، ص60.

²-شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص250.

ثم امتد نطاق التعليم وامتد نظر المؤلف إلى الناس أجمعين فراح يعالج هذا الفن معالجة الأديب، وراح من بعده المؤلفون والعلماء يجولون جولتهم الواسعة وقد خطت الطريق ، ويذهبون بالمقامات كل مذهب.

وهكذا كانت المقامة في النثر أشبه بتلك المنظومات الشعرية التي نظمت قديما وحديثا في موضوعات العلوم اللسانية والمنطقية وغيرها، تسهيلا للحفظ وتيسيرا لإظهار البراعة والمباهاة بالمحصول العلمي عامة، واللفظي منه خاصة¹.

أي أن فن المقامات انحصر في البداية على تعليم اللغة والبيان ثم تناول شتى المعارف الشائعة في كل عصر وإن كانت تتشد الغاية التعليمية. فقد تعدتها وأصبحت ميدانا كبيرا لإظهار البراعة.

هذا ويمكن اعتبار مجموعة المقامات في الأدب العربي موسوعة علمية كبيرة، فهناك القاموس اللغوي بجميع فروعه وامتداداته من ألفاظ غريبة وتعبيرات قديمة وألغاز وأحاجي وأمثال وحكم، وهناك القاموس العلمي من طب وفلك وما إلى ذلك، وهناك القاموس التاريخي وفيه أيام العرب وعاداتهم وأحوالهم الاجتماعية وأحوال الشعوب التي جال فيها المؤلف بمقاماته، وهناك القاموس النحوي والعروضي والبياني إضافة إلى أمور كثيرة تناولها واضعوا المقامات وراحوا يجولون فيها جولات واسعة ولا هدف

¹- حنا الفاخوري، المرجع السابق، ص618.

لهم سوى إظهار البراعة والظهور بمظهر العلماء الذين لهم في كل باب مواقف تعجز المتطاولين والمتطفلين وهكذا كان جوهر المقامة بسط المعارف ورصف المعلومات وتكديس ألفاظ، وكان ما سوى ذلك أعراضاً وظواهر¹.

تمنئذ مخلة مدغى لآخ انك طبع دى هلفئذنى:

1 - مخلة مدغى لآخ انك طبع دى:

آ-ك طلك ذلك طك هئى مى :

طئع دا ف الحك د:

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان ، ولد في همذان ، وهي مدينة جبلية في إيران سنة 358 للهجرة ، وهو من أسرة كريمة. وفي رسائله المطبوعة دلالات مختلفة ملئ أنه من أسرة عربية استوطنت هناك. ونراه يقول في أول رسالته متلظفاً إلى من راسله:

"إني عبد الشيخ واسمي أحمد، وهمذان المولد، وتغلب المورد، ومضر المحتد"².

وكان معلمه الأول أبا الحسين أحمد بن فارس اللغوي المشهور ، وعندما بلغ الثانية والعشرين من عمره ترك بلدته وراح يضرب في البلاد حتى بلغ الري ، فاتصل

¹-ينظر: المرجع السابق حنا الفخوري، ص620..

²-شوقي ضيف، المقامة، ص13.

بالصاحب ابن عباد ولزم دار كتبه وتدرّب على أسلوبه في التسجيع والتتميق، ثم قصد جرجان حيث اتصل بعلماء الإسماعيلية ووقف على مذهب الباطنية¹ ثم انتقل إلى نيسابور حيث كانت له سنة 992هـ معركة أدبية شديدة مع "أبي بكر الخوارزمي" شيخ الكتاب في ذلك العصر، فتغلب عليه مما أدى إلى ذيوع صيته وفي نيسابور أملى أكثر مقاماته ثم غادرها إلى خراسان ثم سجستان وكرمان ثم هرات وفيها صاهر أبا الحسين بن محمد الخشنامي واقتنى بمعونته ضياع واتسعت حاله فعاش في رغد وهناءة.²

وقد أصبح كعبة القصاد يقصدون إليه ليشفع لهم عند الأمراء يقول: "وهؤلاء الصدور يرون أن الشمس من قبلي تدور" على أن الدائرة لم تلبث أن دارت عليه فلبى نداء ربه وهو في الأربعين من عمره، إذ توفي سنة 398هـ. وقيل مات مسموما وقيل مات بداء السكتة ودفن حيا.

وقد كان طلق البديهة سمح القريحة شديد العريضة زلال الكلام عذبه فصيح اللسان، إن دعا الكتابة أجابته عفوا وأعطته قيادها صفوا، أو القوافي أتته ملء الصدور على التوافي". أما آثاره فتتمثل في مقاماته الشهيرة إضافة إلى ديوان شعر متواضع.³

¹-يقوم هذا المذهب على أساسين أولهما تأويل القرآن تأويلا يتفق وأهداف الإسماعيلية والثاني معرفة الحقائق وهي جملة المذهب الفلسفي والعلمي للإسماعيلية.
²-حنّا الفاخوري، المرجع السابق، ص624، 623.

³-حنّا الفاخوري، المرجع السابق، ص124.

- مخلة، إنك بك ظلمك ذلكم هك خفك:

يعتبر **الحريري** أول من تحدث عن النشأة الأولى للمقامات، فقد كتب في مقدمة مقاماته: "وبعد فإنه جري ببعض أندية الأدب الذي ركبت في هذا العصر ريحه وخبث مصابيح، نكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة همذان رحمه الله وعزا إلى أبي الفتح الإسكندري نشأتها وإلى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا يعرف ونكرة لا يتعرف إلى أن قال: هذا مع اعترافي بأن البديع سباق غايات وصاحب آيات وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة ولو أوتي بلاغة قدامة لا يغترف إلا من فضالته، ولا يسري ذلك المسرى إلا بدلالته".¹

ومعنى ذلك أن البديع له قصب السبق في كتابة أولى المقامات العربية نافية بذلك أن تكون المقامات من ابتداع ابن دريد أو ابن فارس.

هذا ويذهب **القلقشندي** (ت 821هـ) إلى القول "إن أول من فتح باب المقامات علامة الدهر وإمام الأدب البديع الهمذاني، فعمل مقاماته المشهورة والمنسوبة إليه وهي في غاية البلاغة وعلو الصنعة".²

من المؤيدين أيضا لريادة البديع لهذا الفن عبود مارون حيث يقول: "إن خطة المقامات هي من صنع البديع فلا لابن فارس ولا لابن دريد يد في صناعتها.

1- محمد خفاجي عبد المنعم، الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء لنديا الطباعة، ط2004، ص2، ص391.

2- عمر عبد الواحد، السرد والشفاوية: دراسة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار الهدى، ط2003، ص19، 18.

فالهمداني هو الذي ألبسها هذا الطراز الموشى وعلى طريقه هذه التي شقها سارت عجلة الأدب ألف عام، فعبثا نحاول العثور على أثر لهذه الخطة عند غير البديع¹. في هذا القول ما معناه أن البديع هو الأصل في نشأة المقامات وكل حديث غير هذا الحديث فهو باطل بل ويعتبر إجحادا في شخص البديع.

ويذهب **عبد المالك مرتاض**: "إن البديع هو المنشئ الحقيقي لفن المقامات أما هذه الأسماء التي يذكرها بعض النقاد وممن أرخوا للأدب، فلم يكن لها قوة الإبداع الفني الذي وجدناه في مقامات البديع، وإنما كانت تحوم حول هذا الفن دون أن تصنع له كبيرا شيء، فابن دريد كاتب أحاديث أدبية، ليس أكثر وليس أقل². أما مرتاض فيحاول القول أن البديع هو الملهم الحقيقي الذي جادت قريحته بهذا الفن الجديد بالصورة التي هول عليها وأن من قبله لم يستطيعوا النسيج على منواله وحجج أنصارهم لسيد دامغة.

في حين ذهب بعض الدارسين والمؤرخين إلى القول بأسبقية ابن دريد لفن المقامات ولعل من بين هؤلاء **زكي مبارك** الذي رد على القول الذي عرضناه من قبل والذي يعترف فيه الحريري بزيادة البديع لهذا الفن إذا يقول: "وكان من المعروف أن بديع الزمان الهمداني هو أول من أنشأ فن المقامات ولم أجد فيمن عرفت من رجال النقد

1- عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، ص138.

2- المرجع نفسه، ص149.

من ارتاب في سيق البديع لهذا الفن وإنما رأيت من يعلل سبقه بنزعتة الفارسية إذا كان الفرس فيما يضمن بعض الناس أحرص من العرب على القصص وأعرف بمصنوع الأحاديث ويضيف قائلًا وفي رأي أن الحريري هو الذي أذاع هذا الغلط ثم آمن الناس بقوله إذا كان أشهر من أقبل الجمهور عليهم من كتاب المقامات وهو ينسب في مقدمة مقاماته فضل السبق إلى البديع وقد وصلت إلى أنه ليس مبتكر فن المقامات وإنما ابتكاره ابن دريد.¹

وقد اعتمد مبارك على تحرير هذه المسألة على رأي الحصري صاحب كتاب "زهر الآداب" في معرض حديثه. عن البديع.

ويوافق الحصري على هذا الرأي حيث يذكر أن بديع الزمان ألف مقاماته معارضة لأحاديث ابن دريد إذ يقول: "إنه لما رأى أبا بكر محمد بن الحسين ابن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثًا وذكر أنه أستتبطها من ينابيع صدره، وأنتجها من معادن فكره وأبداها للأبصار والبصائر وأهداها للأفكار والضمائر في معارض حوشيه، وألفاظ عجيبة، فجاء أكثرها ينبو عن قبول الطابع.... عارضه بأربعمئة مقامة في الكدية تدوب ظرفًا وتقطر حسنا."²

ومستخلص هذا الحديث أن المقامات البديعية جاءت كرد فعل على الأحاديث الدريدية.

¹- زكي مبارك، المرجع السابق، ص198.

²- سامي يوسف أبو زيد، المرجع السابق، ص229، 228.

هذا وقد اعتبر المستشرق الانجليزي مارغيلوت أن ابن دريد هو منشئ المقامات الأولى "فقد ذهب في دائرة المعارف الإسلامية إلى أن ابن دريد هو الذي أنشأ فن المقامة ولم يقرر هذا الرأي إلا بعد أن كان قد ألم برأي الحصري المشهور، واقتنع به."¹

لهذه الآراء كلها مصدر واحد هو رأي الحصري والتي يرى مرتاض إنها ليست صائبة ولا تقوم على أساس من الصحة ذلك أن الحصري ذاته لم يذكر مقامات وإنما ذكر أحاديث مع العلم أن المقامات كانت معروفة لدى الأدباء العرب، وقد كان ابن قتيبة اصطنعها في كتابه "عيون الأخبار" فما الذي منع ابن دريد أن يطلق على أحاديثه مقامات؟ .

وقد ذهب جورجى زيدان إلى رأي آخر يعطي فيه الأولوية لأحمد ابن فارس فيقول: "إن لأحمد ابن فارس فضل المتقدم في وضع المقامات لأنه كتب رسائل اقتبس منها العلماء، نسقه وعليه اشتغل بديع الزمان".²

غير أن هذا الرأي ضعيف وفيه ثغرات نذكر منها: أن الحصري كان أكثر عناية بكتاب القرن الرابع، ذهب إلى أن البديع عارض ابن دريد ولم يقل ابن فارس ثم إن هناك شخص آخر هو الثعالبي والذي كان على صلة وثيقة بالبديع لم يذكر أن

¹- عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، ص139.

²المرجع نفسه، مرتاض ص139.

البديع أخذ مقاماته عن أستاذه ابن فارس وحين ترجم له لم يصح ولم يشر إلى انه كان لهذا العالم اللغوي والنحوي مقامات وإنما ذكر رسائل مفيدة¹ ومهما كانت الآراء التي قيلت في هذا الصدد فمزال رأي الحريري هو الأصح والأصدق، فمن المقطوع به أن بديع الزمن هو أول من ابتدع لفظ مقامة وهو الذي أعطاه هذا الشكل الفني الذي جعلها تبدو كجنس أدبي يختلف عن بقية أجناس الكتابة العربية، وهو الذي جعل معظم مقاماته تدور حول موضوع الكدية والاحتيال التي يخدعون بها ضحاياهم وإذا كان قد تأثر بغيره فليس في هذا ما يعيبه وعلى هذا مزال البديع معترف له بسبق والابتكار وسيظل اسمه مقترنا بخلق المقامات كما سيضل اسم المقامات قرينا بابتكاره وإبداعها.

الحمد لله:

الحمد لله في الحسب:

هو أبو محمد القاسم بن علي، ولد لأسرة عربية سنة 446 للهجرة بضاحية من ضواحي البصرة تسمى المشان، وبها كانت ملاعب صباه ومسارحه. ولما شب

1- المرجع السابق عبد الملك مرتاض، ص143، 142.

تحول عنها إلى البصرة ونزل بحي فيها يسمى بني حرام، وأكب على الدراسات الدينية والعلوم اللغوية والنحوية، وتخرج في ذلك كله حاذقا به، بارعا غاية البراعة. وكان فيه ذكاء وبلاغة، فجدب إليه الأنظار، وطمحت نفسه إلى وظائف الدولة¹ وقد كان بخيلا قبيحا دميم الخلقة والهيئة، مبتلى بنتف لحيته، لكن ورغم هذه الصفات فقد دوت شهرته العالم الإسلامي في حياته وبعد مماته. توفى هذا الأخير سنة 516هـ.

وقد خلف إلى جانب المقامات ديوانا من الشعر ومجموعة من الرسائل، كما خلف كتبا في النحو واللغة وأشهرها كتاب (درة الغواص في أوهام الخواص)، تعرض فيه لأخطاء الأدباء وأغلاطهم في استعمال الألفاظ والأساليب.²

ملف نلصق دلة ذ:

يعتبر الحريري الرائد الثاني لفن المقامات العربية بعد بديع الزمان وقد ألف الحريري مقاماته سنة 495هـ وانتهى من كتاباتها سنة 504هـ أي أنها كتبت خلال تسع سنوات وهذا متفق عليه. بيد أن هناك اختلاف غير مؤثر في الروايات وذلك حول الأسباب التي دفعت الحريري لإنشاء مقاماته، ويتفق كتابا "وفيات الأعيان" و"معجم الأدباء" في أن الحريري صنع مقامته الأولى متأثرا بشيخ من المكدين رآه في المسجد

1- شوقي ضيف، المقامة، ص44.

2- ينظر: المرجع السابق، ص45، 46.

يسأل الناس ويزعم أن الروم اسروا ابنه ونورد هنا شيئاً مما أورده ابن خلكان : "كان سبب واضعه لهذه المقامات ما حكاه ولده أبو القاسم عبد الله قال: "كان أبي جالسا في مسجد بني حرام فدخل شيخ ذو طمرين، عليه أهبة السفر، رث الحال، فصيح الكلام، حسن العبارة، فسألته الجماعة من أين الشيخ؟ فقال: من سروج واستخبروه عن كنيته فقال: أبو زيد فعلم أبي المقامة المعروفة بالحرامية وهي المقامة الثامن والأربعون في كتاب المقامات وعزاها إلى أبي زيد المذكور"¹

" فالمثير الذي ألهب الحس الفني عند الحريري تجسد في أبي زيد هذا الشحاذ البليغ الوافد من قرية سروج بعد أن خربها الصليبيون على مسجد بني حرم مستقر الحريري وموطن درسه، فإذا هو يملك بفصاحته وطرافته على الحريري لبه ويملاً أقطار نفسه وإذا الحريري يلتقف بحاسته الفنية هذه الصورة وتستجب عبقريته لهذه الإثارة فينشئ المقامة الحرامية، تصور أبا زيد وطرقته في عرضه مسألته واستثارة نخوة من سمعه وإذا هو يعرض مقاماته على أعيان الأدب وفضلاء القوم وإذا هم يقترحون عليه أن ينسج على منواله ويضع أمثاله ويقع هذا الاقتراح موقع الرضا في نفس الحريري فيعلن إليهم تلبية رغبتهم ويمضي في طريقه حتى يتم الخمسين

مقامة".²

1- أحمد أمين مصطفى، الحريري صاحب المقامات الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1998، ص1، 18، 17.

2- علي عبد المنعم عبد الحميد، المرجع السابق، ص80، 79.

غير أن هناك بعض الباحثين وقف عند قول الحريري في مقدمة مقاماته: " فأشار من إشارته حكم وطاعته غنم" وتضاربت الآراء حول الشخص الذي أمر الحريري بكتابة المقامات فقيل أنه أنوشروان وقيل ابن صدقة.

وفي ذات الصدد يقول شوقي ضيف: " ونحن نرى طائفة منه تذهب إلى أن والي البصرة عني به، وهو الذي دفعه إلى صنع مقامات ، وتذهب طائفة ثانية إلى أن الذي عني به أنوشروان ابن خالد وزير الخليفة المسترشد (512هـ-529هـ). وتزعم طائفة ثالثة إلى أن الذي عني به وزير آخر لنفس الخليفة يسمى ابن صدقة .

ويضيف قائلاً : وكل ذلك إنما هو تفسير لما جاء في مقدمته للمقامات من قوله : فأشار من إشارته حكم وطاعته غنم إلى أن أنشأ مقامات أتلو فيها تلو البديع فقالوا إنه يشير إلى أحد الثلاثة السابقين واختلفوا فيهم.¹

ويقدم لنا أحمد أمين مصطفى دليلاً على أن أنوشروان هو المقصود في مقدمة الحريري ويدعم قوله بما قاله صاحب البداية والنهاية الذي يقول: "فعمل الحريري المقامة الحرامية واشتهرت في الناس ، فلما طالعها الوزير أعجب بها ، وقد مدحه الحريري، وأورد شعراً في مدح أنوشروان".²

¹-شوقي ضيف، المقامة ، ص44.

²- أحمد أمين مصطفى، المرجع السابق، ص19.

وهناك رواية أخرى بخط الحريري نكرها صاحب وفيات الأعيان: "يذكر أنه رأى في القاهرة نسخة من المقامات بخط مصنفها الحريري ، وقد كتب على ظهرها بخطه أنه صنّفها استجابة لرغبة الوزير جلال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن بن أبي العز بن صدقة وزير المسترشد أيضا ، ولا شك أن هذا أصح من الرواية الأولى لكونه بخط المصنف".¹

ويرفض شوقي ضيف كلتا الروايتين ويأبى أن يكون أي من الوزيرين وراء تأليف المقامات ويدلل على ذلك بأن الحريري قد فرغ من تأليف مقاماته عام أربعة وخمسمائة من الهجرة النبوية وابن صدقة ولي الوزارة للمسترشد بعد وفات الحريري ، ومن ثم فإن ما يقال عن صلة الوزيرين بتأليف المقامات غير صحيح".²

ويرى أيضا أن الذين شجع الحريري على إضافة مقامات أخرى إنما هو الخليفة المستظهر ، (487هـ-512هـ) واعتمد في ذلك على ما رواه الشريشي شارح مقاماته الكبير في تعليقه على العبارة السابقة إذ يقول: "فقصده الحريري، وما زال يبعثه على صنع المقامات ، حتى أتمها ورفعها إليه، فبلغ عنده أسمى المراتب، ويظهر أنه بالقرب منه في بغداد حتى توفي ، وخلفه المسترشد ، فاتصل بكبار رجال دولة عهده، ومن

1- أبي القاسم بن علي بن محمد الحريري ، مقامات الحريري: المسمى بالمقامات الأدبية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط2008، 6، ص03.

2- علي عبد المنعم عبد الحميد ، المرجع السابق، ص80.

هنا تأتي صلته بابن صدقة وزيره، وربما اتصل بأنوشروان حينئذ. كما اتصل بغيره من البارزين وقدم لهم نسخا من مقاماته، فأشكل ذلك على من تحدثوا عن حياته وآثاره".¹

وقد حاول "أحمد أمين مصطفى" أن يكون وسيطيا في حكمه ، إذ حاول

التوفيق بين الروائتين فيقول: "ويمكن ان نوفق بين هاتين الروائتين بأن تشجيع بعض

الرؤساء للحريري على إنشاء المقامات جاء بعد أن عرض عليه الحريري المقامة

الأولى، أي أن الحريري أنشأ المقامة الحرامية وعرضها على بعض الرؤساء فأشار

عليه أن ينشئ عددا من المقامات كم فعل بديع الزمان الهمذاني ، فاستجاب له

الحريري".²

لكن هناك من الأدباء من أنكر على الحريري أن تكون هذه المقامات من إنشاءه ،

وتحدوه أن يأتي بمثلها فعجز "قيل أن الحريري لم المقامات ، كان قد عملها أربعين

مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد وأبداها فلم يصدقهفي ذلك جماعة من أدباء

بغداد ، وقالوا : إنها ليست من تصانيفه بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات

بالبصرة ووقعت أوراقه إليه فادعاها. فاستدعاه الوزير إلى الديوان ، وسأله عن

صناعته فقال :أنا رجل منشئ ، فاقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة عينها له فأخذ

الدواة والورق وانفرد في ناحية من الديوان، ومكث زمانا كثيرا فلم يفتح الله عليه بشيء

¹-شوقي ضيف، المقامة، ص45.

²-أحمد أمين مصطفى، المرجع السابق ، ص19.

من ذلك ،فقام هو خجلان. فلما رجع إلى بلده عمل عشرة مقامات أخرى وسيرها واعتذر من عيه وحصره في الديوان بما لحقه من المهابة".¹

وقد نالت مقامات الحريري في عصره وفي العصور اللاحقة شهرة واسعة وذاع صيتها ، بل وتفوقت على المقامات البديعية وحاكى الأدباء مقامات الحريري يقول أحمد عبد الرحمان ياغي: " ثم عمل الحريري مقامته الخمسين المشهورة ، فجاءت نهاية في الحسن وأتت على الجزء الوافر من الحظ وأقبل عليها الخاص والعام وأنست مقامات البديع وصيرتها كالمرفوضة ، على أن الوزير ضياء الدين بن الأثير في المثل السائر لم يوفيه حقه ولا عمله بالإنصاف ولا أجمل معه القول ، فإنه ذكر أنه ليس له يد في غير المقامات .حتى ذكر عن الشيخ أحمد بن الخشاب أنه كان يقول :إن الحريري رجل مقامات أي انه لم يحسن من الكلام المنثور سواها ، فإن أتى بغيرها فلا يقول شيئاً".²

يقال: " إنه أعطى إجازة بسبعمائة طالب أن يرووا عنه مقاماته في الناس ،يقول ابن خلي كان :واشتملت المقامات على شيء كثير من كلام العرب من لغتها وأمثالها ورموز أسرارها ومن عرفها حق معرفتها استدلت بها على فضل هذا الرجل وكثرة

¹- أبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري، المرجع السابق ، ص5،4.

²- عبد الرحمان ياغي، المرجع السابق، ص31.

اطلاعه وغزارة مادته¹ أي أن مقامة الحريري موسوعة في حد ذاتها وهذا ينم عن شخصية مؤلفها الفذة وعلمه الكثير .

وكان الحريري معجبا بمقاماته فخورا بها وقد أظهر التواضع في مقدمة مقاماته إذ يقول : "فأشار من إشاراته حكم وطاعته غن إلى أن أنشاء مقامات أتلو فيها تلوا البديع ، وإن لم يدرك الضالع شأو الضليح "والضلع الذي يغمز في مشيته ، والضليح القوي فهو بجانب البديع كالأعرج، ولكنه في المقامة السابعة والأربعين يكشف عن اعتقاده بتفوقه عليه حيث يقول على لسان أبي زيد بطل مقاماته:

إِنْ يَكُنْ الْإِسْكَندَرِيُّ قُبْلِي فَالطَّلُّ قَدْ يَبْدُو أَمَامَ الوَيْلِ

وَالْفَضْلُ لِلْوَابِلِ لَا الطَّلِّ

مفاد هذا القول أن مقامات البديع كالطل الذي يسبق المطر ، وأن مقاماته كالمطر الغزير ، أي أن مقاماته أعظم وإن سبقتها مقامات البديع².

1- أحمد أمين مصطفى، المرجع، السابق، ص12، 13 .

2- المرجع السابق، ص13.

2-: مخلة نغى لآخ اظهئذرى

آ-ع دإ ف الحك ي

اسمه عمر وكنيته أبو بكر بن محمود الملقب بحميد الدين، وقد اشتهر بمحمود البلخي. وكان قد تولى منصب قاضي قضاة بلخ، وبقي في هذا المنصب زمنا طويلا مما أتاح له أن ينال مكانة اجتماعية كبيرة، وقد جمع إلى جانب تفقهه في العلوم الشرعية والدينية قدرة فائقة في فنون النثر والشعر، توفى سنة (559هـ).¹

ا-مخدر لقصق دلة ن

لقد ظهر هذا اللون من الفن اللغوي في النثر الفارسي خلال القرن السادس للهجري وأشهر مثل لهذا تلك المقامات التي كتبها القاضي حميد الدين ونحا فيها نحو البديع والحريري. وقد ألف الحميدي مقاماته في حدود سنة 550هـ وأورد أن يجعلها في

¹-مجلة آداب البصرة، العراق، العدد 49، 2009، ص39.

الفارسية نظيراً لمقامات البديع والحريري في العربية. ولهذا يمكن أن يقال إن إنشاء المقامات الفارسية بدأ بحميد الدين وختم به".¹

وقد قال القاضي: "إن البديع والحريري ألفا مقاماتهما باللغة العربية، ولكن ألفتها باللغة الفارسية ليفهمها عامة الفرس".²

لكن هناك من النقاد من اعتبر المقامات **فارسية الأصل**، وهو ما ذهب إليه **أحمد ضيف** الذي يرى أنها انتقلت من اللغة الفارسية إلى العربية. لكن **نور عوض عارضه** بقوله: "وهذا القول مردود من ناحيتين، الناحية الأولى: أن ظهور المقامات اللغتين العبرية والسريانية كان بعد ترجمة مقامات الحريري إلى السريانية. ولو أن المقامات الفارسية سابقة للعربية لكان الأولى أن تنتقل الترجمة عنها كما حدث مع **كتاب كليله ودمنة** الذي ترجم إلى السريانية ثم إلى العربية".

وقد اعترف الحميدي ذاته في مقدمة المقامات المعروفة بمقامات حميدي أنه تأثر لبديع الزمان والحريري على سواء، وهذا يدل على أنها نقلت من العربية إلى الفارسية فقد ذكر أنه ترسم في مقاماته خطى الحريري والبديع وأنه أراد أن يدخل هذا الفن إلى اللغة الفارسية حتى يعرف بني جنسه به. أما من الناحية الثانية التي

¹- طه ندا، المرجع السابق، ص192.

²- مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 2004، ص04، ص26.

نستطيع أن ندلل بها على عروبة المقامات هي تتبع الأصول التي صاغ منها البديع نموذجة الفني كأحاديث ابن دريد وهذا دليل كاف على أن المقامات عربية النشأة.¹

ويوافق مصطفى الشعبة على هذا الرأي ويورد قول محمد تقي بهار في كتابه "سبك شناسي يا تاريخ تطور نثر فارسي": "يكاد يكون من المرجح أن لفظ مقامة من اختراع بديع الزمان، إذ أن كل اختراع في الأدب العربي كان له صدى في الفارسية" ويضيف: "كان القاضي حميد الدين يريد أن يقلد كل من مقامات البديع والحريري ولكنه تأثر بالبديع وقلده أكثر."

هذه شهادة رجل فارسي يعترف بأن أول من كتب المقامات هو البديع وليس له سابق من كتاب الفرس، ومن خلال هذا الانصراف نخرج جازمين بأن المقامات بوضعها الراهن إنما هي عربية بداية وأصل وصناعة وإنشاء.²

فالمقامات عربية ومقامات الحميدي تأثرت بنسختها الأصلية فراحة تحاكيها. ومن القائلين بهذا الرأي محمد تقي بهار الذي يقول: "في القرن السادس دخلت طريقة كتابة المقامات في النثر الفارسي، وأظهر مثل لذلك مقامات" القاضي حميد الدين عمر بن محمد المحمودي البلخي "ويقول كريم كشاورزي: "القاضي أبو بكر حميد الدين عمر أنشأ مقامات جاءت في أربع وعشرين

1- مجلة آداب البصرة المجلد 1 العدد 12، ص 37.

2- المرجع السابق مجلة آداب البصرة، ص 37.

مقامة ومقدمة ، وقد أنشأها تقليدا لمقامات كل من البديع وقاسم بن علي الحريري

"وأحمد أمين عبد المجيد هو الآخر يقول: أنشأ حميد الدين البلخي مقاماته

بالفارسية محاكيا البديع والحريري في مقاماتهما العربية ، فبدأ في تأليفها

صيف 551هـ و فرغ منها حوالي 555هـ"¹

هذا وقد اعترف القاضي نفسه بهذه الحقيقة في مقدمته فيقول: "كنت أصل الليل

والنهار في مطالعة الكتب واتخذ من نفيها جلساء لوحشتي و أنساء لوحدي ، وقد

لعبت الفلك الدائر (الشطرنج) ونرد الإقبال حتى ظفرت ذات وقت بحسن المصادفة

والاتفاق في أثناء نشر تلك الأوراق وطبها بما قامات البديع والحريري فرأيت لهذين

البرجين المليئين بالغرر. وهذين الدرجين الحافلين بالدرر ، فقلت لنفسي لتتنزل آلاف

الرحمات على هذين الرجلين اللذين خلفا هذه النفائس ولما حصلت على مقاماتهما

أمرني من كان امتثال أمره بالنسبة لروح فرض عين وعين فرض، وكان الانقياد

بحكمة قرض ودينا في ذمتي".² لكن لماذا تأخر ظهورها في الأدب الفارسي؟

ويجبنا طه ندا بقوله: "في الحقيقة لم يكن حميد الدين أول من ألف المقامات

بالفارسية وإن كان أعظمهم فهناك مقامات أبو نصر مشكان التي ألفت في أواسط

القرن الخامس الهجري. ويضيف أن السبب في ذلك هو أن هناك فاصلة زمنية تقدر

¹ - مجلة آداب البصرة ،المرجع السابق، ص38.

² - المرجع نفسه ،ص38.

بقرن من الزمان بين ظهور المقامات العربية والفارسية وأورد قول بهار الذي ذكر أن التجربة قد دلت على أن كل جديد في الأدب العربي احتاج إلى قرن من الزمان على وجه التقريب لكي يظهر نظيره في الأدب الفارسي، ذلك أن الظواهر الأدبية لا تنتقل من قوم إلى قوم في يوم وليلة فهي محتاجة إلى وقت طويل للتسلل إلى البيئات الأخرى فإذا استساغوها تأثروا بها وحاكوها ويضيف وكذلك الأمر فيما يتصل بالمقامات فإنها وإن راجت عند العرب في القرن الرابع الهجري إلا أنها استغرقت بعد ذلك قرن من الزمن أن برزت في الأدب الفارسي¹.

¹-ينظر : طه نداء، المرجع السابق، ص194، 193.

الفصل الثاني :

أثر المقامة المضيرية للبديع في السكاجية
لحميد الدين



أهلاً : أهج نطء نأءءء انك طءق نأءء طءع دءءء طءءء نءءء:

1- أهج نطء نأءءء:

البداية تكون بمقدمة الحميدي التي تبدو فيها محاكاته للحريري جلية، بل العبارات والألفاظ تكاد تتشابه. "فكما فعل الحريري من الثناء على الهمذاني والإشادة بمقاماته وشهرتها وبين الناس فعل الحميدي نفس الشيء فأشاد بالهمذاني والحريري وتحدث بالتقدير والإجلال عن مقاماتهما وشهرتهما بين الناس .ومن اللطيف أن يورد الحميدي في سبب تأليف مقاماته نفس السبب الذي أورده الحريري إذ يقول الحميدي في نفس المعنى : "فأمرني من امتثال أمره على روعي فرض عين وانقياد حكمه على ذمتي وعهدي فرض دين". ويختم الحريري مقدمته بالحديث عن الحاسدين الجاهلين الذين يضعون من شأنه لهذا الكتاب الذي وضعه ، وينددون بأنه من مناهي الشرع .وفي نفس المعنى يردد الحميدي القول عن العيايين الذين يبحثون عن العيوب وإن لم توجد .¹

وقد مزج الحميدي نثره بأبيات من الشعر العربي وكذلك الأمثال العربية ، وبعض آيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وبمناسبة ذكر الشعر فقد تأثر الحميدي في هذا الأمر بمقامات الحريري ، بل وذكر في مقدمة مقاماته ذلك وبهذا يكون فعل

¹ - طه ندا ، المرجع السابق، ص 197.

مثل فعل الحريري إذ ذكر هذا الأخير بأن هذه الأشعار عدا عشرة أبيات فقط من إنتاجه الخاص، فقد قال : "والشرط الأوفق والركن الأوثق هو أن أجري جوادي في ساحة هذا التسويد من الكفاية ،وأن ألعب بنردي على هذا التمهيد ،وأن أستخدم بضاعتي في هذا التصنيف إلا بضعة مصاريع على سبيل الاستشهاد ،لا على وجه الإفادة ،وجملة تلك الأبيات التي تكون رفيق الطريق لا تجاوز العشرة ،إذ لا يمكن للعروس أن تتحلى بزينة جارتها أكثر من ليلة واحدة " .¹

وكتابة الحميدي الصفحة الأولى من مقدمة مقاماته باللغة العربية دليل على إجادته الكتابة بها. " ولو تأملنا مقامات الحريري لوجدناه يراعي نوعا من الترقيم في مقاماته مما يجعل من السهل ترتيبها ويقضي على ما يحدثه النساخ من ترتيب للأعمال الأدبية وفق هواهم، كما أن هذا الترقيم وما يتبعه من ثبات لترتيب المقامات يوحي بوجود بناء شبه متكامل ،ورحلة أحسن تقسيمها إلى مراحل ، ويمكن رسم خط يوضح من أين بدأت وإلى أين انتهت ،وما البلاد التي زارها البطل والراوية بالترتيب خلال رحلة الخمسين مقامة.²

ويتجلى هذا الترتيب عند الحريري في أولى مقاماته وفي آخرها ،ولم يضع مقامته الحرامية في صدر مقاماته ، مع أنها أول مقامة أنشأها ،وإنما جعلها الثامنة والأربعين، مع أنه لا قيمة لوضعها في هذا الموضع، فنحن لا نرى ترتيبا بينها من

¹-محمد بديع جمعة ،المرجع السابق،ص249،248.

²-محمد بديع جمعة ،المرجع السابق،ص246،245..

الثانية إلى الثامنة والأربعين، وإنما نرى الترتيب وحسن التخطيط في صدرها وفي آخرها.¹

وقد تأثر الحميدي بمقامات الحريري من حيث ترقيم المقامات الأولى حتى المقامة الأخيرة وهي الثالثة والعشرون طبقا لطبعة طهران، أو الرابعة والعشرون طبقا لطبعة كانبور.

ومن مظاهر التأثير العربي الواضح في المقامات الفارسية "تقليد الحميدي للجمل الفعلية العربية التي تبدأ بالفعل بعكس الجملة الفارسية الفعلية التي تنتهي بالفعل.فالفعل. فالفعل في الجملة الفارسية يقع آخرًا ولا يأتي أولًا.ومن أمثلة ذلك ما فعله الحميدي في تقليده للجملة العربية قوله: "حكى لي أحد الأصدقاء الذي كان مؤنس خلوتي". وفضلا عن الابتداء بالفعل فإن هذه الصيغة لم تكن معروفة من قبل في الأدب الفارسي، وهي في حقيقتها ترجمة للفعل العربي حكى".²

من هذه التأثيرات الإكثار من إيراد العبارات حتى تتلاحق في بعض الأحيان إلى أن تصل إلى بضعة أسطر إذ يذكر بديع جمعة ذلك في قوله: "فقد كثرت الألفاظ العربية التي استخدمها حميد الدين، ولم يقف الأمر عند استخدام ألفاظ عربية وصل الأمر عند ذكر أو عدة جمل عربية وسط سياق الكلام بالفارسية دون ماداع إلى

1-أحمد أمين مصطفى، المرجع السابق،ص23.

2-محمد بديع جمعة، المرجع السابق،ص249..

استشهاد أو ضرب مثل .فقد أورد حميد الدين في المقامة الثالثة سبعة أسطر عربية متصلة، وذلك في الصفحة رقم ستة وعشرون من طبعة تبريز، وفي الصفحة التالية من نفس المقامة أورد المؤلف ستة أسطر عربية متصلة كذلك".¹

ومن أمثلة الاقتباسات اللفظية أن الحريري قد أورد في المقامة الصنعانية على لسان واعظ: "يَوَاقِيَتِ الصِّلَاتِ أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِيَتِ الصَّلَاةِ". فأخذ حميد الدين هاتين اللفظتين وأدخلهما في بيت من أشعاره.

أَمْطَرَ عَنْ الدُّرْرِ الزَّهْرِ اليَوَاقِيَتَا وَاجْعَلْ لِحَجِّ تَلَاقِينَا مَوَاقِيَتَا²

وتتفق مقامات حميد الدين مع المقامات العربية في العناية بالألفاظ. وبخاصة صناعة السجع، وكذلك الإكثار من الألغاز مثاله في ذلك مثال الحريري، وقد استخدم في تحقيق غلبة اللفظ على المعاني كثرة الألفاظ العربية التي يصعب على القارئ الفارسي العادي فهمها.³

¹-محمد بديع جمعة ، المرجع السابق، ص.147.148..

²-طه ندا ، المرجع السابق، ص.198.

³-محمد بديع جمعة، المرجع السابق، ص.149.

2- آهجنى لأخئلإ .:

اتسمت المقامات العربية بوجود بطل واحد وراوية واحد تدور بينهما أحداث المقامات كلها. فقد اتخذ الهمذاني لقصصه بطلا هو أبو الفتح الإسكندري الذي يظهر في شكل أديب متسول يروي مغامراته وأخباره راوية واحد هو عيسى ابن هشام، غير أن بعض المقامات تخلو من ذكر البطل، كما في المقامة البغدادية، وقد لا يسمى البطل في بعضها كما في المقامة الصفرية، وقد يشترك البطل والراوي في البطولة معا كما في المقامة الموصلية.¹

وشخصية الراوي عيسى بن هشام التي تدخل أحيانا في أحداث القصة، ويكون دائما متخفيا متتكرا، وهو يجوب الآفاق يتبع الإسكندري من سوق إلى سوق ومن بلد إلى بلد غايته كشف حيله وكأنه رجل تحر، واقتصر دور الراوية على رواية المقامات، وجعله الكاتب محدثا إياه بالمقامات، ففي كل مقامة يقول: "حدثنا عيسى ابن هشام"، وهو رجل مثقف مغرم بالكلمة الحلوة والتعبير الجميل.²

أما الحريري فقد أسند البطولة إلى "أبي زيد السروجي"، حيث يظهر في صور متعددة ويلجأ إلى طرق عديدة للتحايل، ويعتمد على أدبه وأفانيه اللغوية لاكتساب العطف والإعجاب ففي المقامة الكوفية يقول الحارث بن همام: "وَقُلْنَا لِلْغُلَامِ هَيَّا

¹-سامي يوسف أبو زيد، المرجع السابق، ص228

²-عبد الرزاق حسن رحمانى، دراسة مقارنة بين مقامات الهمذاني والحميدي، جامعة الخرطوم، ص14.

هَيَّا"،فهو هنا غلام وفي المقامة المراغية نراه كهلا حيث يقول الحارث:"وَكَانَ بِالْمَجْلِسِ كَهْلُ جَالِسٍ فِي الْحَاشِيَةِ". ويظهر ابو زيد السروجي في معظم المقامات في ثياب رثة بالية، ونادرا ما يظهر حسن الهيئة، فهو في ثياب ممزقة، كما في المقامة الدينارية"إِذْ وَقَفَ بِنَا شَخْصٍ عَلَيْهِ سَمْلٌ وَفِي مِشْيَتِهِ قَرْلٌ". والسمل هو الثوب الخلق وفي المقامة الكرجية يقول:"فَإِذَا شَيْخٌ عَارِي الْجِلْدَةِ بَادِ الْجِرْدَةِ".وهو يجتمع بين نوازع الخير والشر ، فتراه في بعض المقامات مخادعا محتالا،وفي أخرى نراه يعظ الناس من أبرز صفاته الذكاء ،المعرفة الواسعة والعلم الغزير إلى جانب الفصاحة والدهاء وسعة الحال،وهو يتمتع بجاذبية كبيرة لحسن بيانه.¹

أما الراوية فهو شخصية خيالية من إبداع الحريري وخلقها، فهو يقلد بذلك الهمذاني الذي خلق شخصية عيسى ابن هشام،والرواية عنده هو الحارث بن همام واختار له هذا الاسم متأثرا بالحديث النبوي الشريف وفي ذلك يقول صاحب وفيات الأعيان:"وأما تسمية راوي المقامات بالحارث بن همام فإنما عنى به نفسه،وهو مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام:"كُلُّكُمْ حَارِثٌ وَكُلُّكُمْ هَمَامٌ، فَالْحَارِثُ الْكَاسِبُ،وَالْهَمَامُ الْكَثِيرُ الْإِهْتِمَامُ".²

أما فيما يخص مقامات الحميدي، فالبطل مختلف في كل مقامة، ونجد الحميدي لا يصرح باسم البطل، إذ كان يكتفي بإيراد بعض الصفات لهذا البطل في بداية كل

¹-ينظر: أحمد أمين مصطفى،المرجع السابق،ص35،34.

²-المرجع السابق احمد امين مصطفى،ص36.

مقامة، ففي كل مقامة يقوم البطل بمغامراته ثم يختفي عن الأنظار دون أن يرفع الستار عن اسمه أو مصيره، حيث تبدأ مقاماته في كثير من الأحيان ب: "حَكَّانِي صَدِيقٌ كَانَ أَنَيْسَ الْوَحْدَةِ" وتختتم هذه المقامات باختفاء بطلها: "وَأَخِيرًا مَا وَجَدْتُ مِنْهُ أَثْرًا وَلَا سَمِعْتُ عَنْهُ خَبْرًا، وَمَا عَلِمْتُ إِلَى أَيَّنْ ذَهَبَ".¹

أما الرواية فقد أدى الحميدي دور الراوية، ولعل الغموض الذي يكتنف شخصية البطل جعل مقاماته تفتقد عنصر التشويق الموجود في المقامات العربية، إذ تتولد لدى القارئ رغبة ملحة في مواصلة القراءة للمقامة التالية وهكذا دواليك.²

وإذا تحدثنا عن عدد المقامات نجد أن الحميدي لم يتمكن من مواصلة معارضته لمقامات الهمذاني والحريري، لذا توقفت عند أقل من نصف عدد مقامات كل منهما، إذ لم يكتب إلا ثلاثا وعشرين مقامة حسب اختلاف النسخ والطبعات.³

وقد أراد الحميدي أن تبلغ مقاماته الخمسين أسوة بالهمذاني والحريري إلا أنه لم يوفق إلى ذلك. "وقد ذكر في خاتمة كتابه أنه لم يستطع أن يتجاوز المقامة الرابعة والعشرون لأن الأحوال السياسية وقتذاك كانت قد تغيرت فاضطربت أحواله وشت منه الفكر وال خاطر ولم يعد قادرا على الكتابة".⁴

¹مجلة اللغة العربية وآدابها، ع4، 2004، ص25، 26.

²ينظر: محمد بديع جمعة، المرجع السابق، ص250.

³المرجع السابق محمد بديع جمعة، ص215.

⁴طه ندا، المرجع السابق، ص196.

وللحديث عن عدد مقامات الهمذاني نذكر كلامه في رسائله حين نقض قصيدة أبي بكر الخوارزمي : "وما كنت لأكشف تلك الأسرار وأهتك الأسرار وأظهر منه العار والحوار لولا ما بلغنا منه من اعتراض علينا فيما أملينا، وتجهيز قدح علينا فيما روينا من مقامات الإسكندري ،من قوله إنا لا نحسن سواها وإنا نقف عند منتهاها... فيعلم أن من أملى من مقامات الكدية أربعمائة مقامة لا مناسبة بين المقامتين، لا لفظا ولا معنى، وهو لا يقدر منها على عشر حقيق يكشف عيوبه.¹

في حين يرى زكي مبارك أن عدد مقامات الهمذاني هو ذلك العدد الذي بين أيدينا لا غير أي خمسين مقامة . وهذا هو الرأي الأرجح.²

أما العدد الذي توقفت عنده مقامات الحريري فلا خلاف أن الحريري كتب "خمسين مقامة. وتذكر المصادر الأدبية أن الحريري كتب المقامة الحرامية ثم أضاف إليها أربعين مقامة بعدما نالت إعجاب سامعيها، واتهم بأنها ليست من صنيعه ، وهذا جعله يضيف إليها عشر مقامات أخرى، حتى وصل نصابها إلى الخمسين مقامة . وفي ذات الصدد يقول الحريري : "وأنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة ، وفضة خامدة وروية نابضة ، وهموم واصبة، خمسين مقامة". فهو بذلك قصد بهذا العدد أن يعارض

1- عبد الرزاق حسن رحمانى، المرجع السابق، ص 7.

2 - مصطفى الشعكة، المرجع السابق، ص 323.

مقامات الهمذاني ،وإلا لما توقف عند العدد خمسين بالتحديد،وهو نفس العدد في معظم طبعات الهمذاني".¹

كما أن الهمذاني والحريري حرصا على تسمية المقامات بأسماء البلدان التي تدور فيها أحداث المقامات،فسمى بعضها بأسماء البلدان التي نسبت إليها كالبغدادية والبصرية والأهوازية والأصفهانية،وأطلق على بعضها أسماء حيوانات معينة كالأسدية وبعضها الآخر بأسماء أطعمة كالمضيرية وأطلق على بعضها أسماء الموضوعات التي اشتملت عليها كالوعضية والإبليسية. أما الحميدي ،فقد كان يطلق على كل مقامة اسما مستمدا من الفكرة الرئيسية التي تدور حولها المقامة، كالمقامة الملمعية لأنها عنيت بصناعة الملمعات ،ومثل المقامة الخامسة في اللغز والسادسة في الجنون والثانية عشرة في التصوف وهكذا.وقد سمي الحميدي بعض مقاماته بأسماء مدن مثل السمرقندية والبلخية.²

ولعل من أهم السمات التي تميزت بها مقامات الحميدي ،"وذلك بتأثير من الأسلوب الفارسي في الكتابة،الإكثار من أسلوب المناظرة، مثال ذلك :المقامة الثانية في

1-عبد الرزاق حسن رحمانى،المرجع السابق ،ص22.

2-عبد الرزاق حسن رحمانى،المرجع السابق ،ص26.

المنظرة بين الشيب والشباب والمقامة الثالثة عشرة في المناظرة بين السني والملحد والمقامة الثامنة عشرة في المناظرة بين الطبيب والمنجم".¹

إضافة إلى هذا نجد الموضوع الأساسي في المقامات العربية هو **الكدية**، ذلك أنه سيطر على معظم مقامات الهمذاني، مع أن المقامات قد خرجت بعض الشيء عن هذا الموضوع، ويشير بروكلمان إلى المواضيع الأخرى التي تضمنتها مقامات الهمذاني عدا الكدية فقال: "وأكثرها مختلفة المعاني والأغراض، ولا يشبه بعضها بعضاً إلا في القالب والأسلوب، فمنها ست مقامات في مدح صاحبه وولي نعمته خلف بن الأحمر ، أما في المقامة الأولى فهو يصدر أحكاماً في المفاضلة بين الشعراء القدامى والمحدثين، وفي المقامة الرابعة عشرة يوازن بين الجاحظ وابن المقفع، وفي المقامة الخامسة عض المجانين وفي التعامل مع المعتزلة، وفي المقامة الثانية والأربعين يعرض حكم الإسكندري ونظرات الصائبة في الحياة ، وفي الحادية والثلاثين وهي الرصافية، يحكي لغة المحتالين الساسانيين...".²

في حين أشار الحريري إلى الموضوعات التي عالجتها مقامته ،"على أنها تدور كلها في إطار عام من التحدث عن الكدية، وهو في هذه الناحية أدق من البديع، فالحريري سلكها جميعاً في قالب الشحاذة، مما جعلها تبدو كوحدة عضوية تربط بين

1-محمد بديع جمعة، المرجع السابق، ص250.

2-المرجع نفسه ، ص250.

مقاماتها الخمسين فكرة واحدة عامة، وبعد ذلك يستطيع التحدث في ثناياها عن الموضوعات الأخرى التي يود الخوض فيها.¹

فسيطرة الكدية على المقامات العربية جعلها لا تتجح في محيط الإيرانيين إذ لم يعجب الناس بتلك الحيل التي يحتالها أبطال المقامات العربية، ويتابع إبراهيمي قوله: "إنه إذا كان القاضي حميد الدين وهو إيراني قصد بمقاماته محاكاة المؤلفين العرب، إلا أنه لم يجعل الكدية هي الموضوع الأساس في المقامات.²

تَمَنُّدٌ: لَطْهَةٌ تَأْتِي بِطَلْقٍ دَلِيلِكِ حَكْمٌ جَذِبٌ لِقَوْلِ دَلِيلِكِ شَدِيدٌ:

1- آتِي بِطَلْقٍ دَلِيلِكِ شَدِيدٌ بِغِيٍّ لَطْفِكِ حَكْمٌ جَذِبٌ:

بعد قراءة المقامة المضيرية للبديع الزمان الهمذاني والمقامة السباجية القاضي حميد الدين ندرك أن سير الأحداث كان واحدا في كلتا المقامتين ، فكلاهما تدور حول وليمة دعي إليها أحد الأشخاص ،وحيثما يفرش المستضيف المائدة الملونة بأنواع الطعام يمتنع البطل عن الأكل ،ويقول بأنه عاهد نفسه أن لا يأكل طعاما كهذا الطعام ،إلى نهاية حياته وهذا الطعام هو عند الهمذاني المضيرة وعند الحميدي

1-أحمد أمين مصطفى ، المرجع السابق،ص34.

2-طه ندا، المرجع السابق،ص200.

السباج، فحين راح الحاضرون يلحون على معرفة قصة هذا الرجل مع هذا الطعام فيخبرهم بأنه في يوم من الأيام في مدينة بعيدة من هنا دعاني تاجر إلى مائدته فاستجبت لدعوته و ذهبت معه في الليلة المقررة، وقد أكثر الكلام في الطريق وفي بيته ما قل كلامه بل زاد على قوله فكان يتحدث عن كل ما يكون في هذه الدنيا كبيرها وصغيرها حتى ما استطعت أن أتمالك نفسي وقد وصلت روجي إلى أنفي فقبض علي الحرس لم ظنوا علي من سوء، فحبسوني بسجن وأنا متحير في أمري، فتخلصت بواسطة صديق، فنذرت أن لا أدخل على مائدة بهذه الأوصاف ولو تأملنا المقامة المضيرية لوجدناها تبدأ بوصف مجمل لأبي الفتح الإسكندري بطل الهمداني، ويقول عيسى بن هشام واصفا إياه بقوله¹: "رَجُلٌ الْفَصَاحَةُ يَدْعُوهَا فَتُجِيبُهُ، وَالْبَلَغَةُ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ"²

وهذا يحيلنا إلى أن البديع يدخل في الموضوع مباشرة بعد تمهيد وجيز ، غير أن الحميدي يفتح مقاماته بمقدمة طويلة عريضة ثم يدخل في الموضوع.فالكلام الذي يقوله الهمداني في جملة أو جملتين يقوله الحميدي في صفحة أو أكثر³.

¹-عبد الرزاق حسن رحمانى،المرجع السابق،ص26.

²-محمد عبده،شرح مقامات بديع الزمان الهمداني، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط2005،3،ص122.

³-عبد الرزاق حسن رحمانى،المرجع السابق،ص262.

هذا هو الفرق بين أسلوب بديع الزمان القائم على القول البليغ الموجز ، وأحيانا أخرى الإطناب حسب ما تقتضيه الضرورة ويقتضيه المقام

ويقول الحميدي في وصف البطل المجهول إذ يقول : "حدثني صديقي الذي كان أمينا في القول ، وضمينا في الأسرار ، وزعيما على الأصحاب والأوفياء...".¹

ومن ثم شرع الهذاني يصف المضيرة على لسان راويته فيقول : "فقدت لنا مضيرة تنثي على الحضارة وتترجرج في الغضارة، وتؤذن بالسلامة، وتشهد لمعاوية رحمه الله بالإمامة، في قصعة يزل عنها الطرف، ويموج فيها الطرف، فلما أخذت من الخوان مكانها ومن القلوب أوطانها...".²

الجملة الأخيرة تفتح إمكانية التأويل، فالمضيرية التي تبدو فعلا ذات ملامح إنسانية بإمكانها أن تصبح وسيلة لمنح البيعة لمعاوية، الذي عرف عن مبايعته أثناء حياة " علي ابن أبي طالب " "أنهم طلاب اللذائذ وبغاة الشهوات". ويبدو أن هناك تلميحا واضحا لعلاقة السلطة السياسية الجائرة بالمحكومين . بحيث تظهر كأنها علاقة سيطرة من خلال التحكم في الطعام، بما قد يصل أحيانا إلى شراء هذه الضمائر . وهذه السيطرة قائمة فيما يبدو بسبب المضيرة.³

¹-محمد بديع جمعة، المرجع السابق، ص262

²- محمد عبده ، المرجع السابق، ص123.

³-عبد الرزاق حسن رحمانى، المرجع السابق، ص27

وفي ذات الصدد يواصل الحميدي واصفا سفرة الطعام فيقول : "نظمت سفرة الطعام الجميلة وأجمل من العرسان والمزينة بألاف الألوان الجميلة، في كل جوانبها " .

يورد لنا شعرا في ذلك قائلا:

تَلَأُو الشَّمْسُ فِي الضِّيَاءِ

يُلُوْحُ فِي هَالَةِ الْإِنَاءِ

وَكَأَنَّهَا النَّارُ فِي الصَّفَاءِ

كَأَنَّهَا الشَّمْسُ فِي التَّجَلِّيِ

عَلَى أَنَّهَا جَاءَتْ بِلَوْنٍ سَقِيمٍ

وَسَبَاجِيَّةٍ تَشْفِي السَّقَامَ بِطَعْمِهَا

كأيدي تبار في ظلام نعيم.¹

إِذَا زَارَهُ أَيْدِي الرِّجَالِ تَرَجَّجَتْ

والم تأمل للدعوة التي حضرها عيسى بن هشام والاسكندري يجد أن المضيرة وصفت مرتين، مرة عند تقديمها، والثانية بعد ردة فعل الاسكندري ، وفي هذه المرة يصف لنا الراوية حدث إبعاد المضيرة من أمام المدعوين فيقول : "وظنناه يمزح فإذا الأمر بالضد وإذا المزاح عين الجد، وتتحى عن الخوان، وترك مساعدة الإخوان، ورفعناها فارتفعت معها القلوب، وسافرت معها العيون، وتحلبت لها الأفواه، وتلمظت

1- محمد بديع جمعة، المرجع السابق، ص 266، 267.

لها الشفاه، وانتقدت لها الأكباد، ومضى في إثرها الفؤاد، ولكننا ساعدناه على هجرها ،
وسألناه عن أمرها "1.

أما الحميدي فيقول : "تحير الجماعة في تلك الحالة وتلك المقولة مما أدى بهم إلى
التفكير وأخذوا بكلام عنها . بعضهم أنابوا الشيخ وبعضهم أعزموه والشيخ استمر في
فراره... " وأنشد قائلا:

أُدْعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِسُحْبِ الْعَيْنِ هَاطِلَةَ الْعَمَامَةِ
لَقَدْ أَكْرَمْتُمْ صَيْفًا كَرِيمًا وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ لَأَكْرَامَةَ
وَإِنِّي قَدْ فَرَرْتُ وَكَمْ فِرَارٍ إِذَا فَكَّرْتُ أَحْسَنُ مِنْ إِقَامَةٍ²

ثم تسأل جماعة الاسكندري عن أمر المضيرة، ومن هنا تبدأ قصته مع التاجر الذي
دعاه إلى مضيرة منذ أكثر من عامين، ومن اللافت للنظر أن صاحب الدعوة بدا
مصرا على دعوته،³ يقول الإسكندري: "قصتي معها أطول من مصيبي فيها، ولو
حدثكم بها لم آمن المقت، وإضاعة الوقت، قلنا: هات، قال: دعاني بعض التجار إلى
مضيرة وأنا ببغداد، ولزمني ملازمة الغريم، والكلب لأصحاب الرقيم، إلى أن أجبته إليها،

1- محمد عبده، المرجع السابق، ص123.

2- محمد بديع جمعة، المرجع السابق، ص268، 269.

3- عبد الرزاق حسن رحمانى، المرجع السابق، ص28.

وقمنا فجعل طول الطريق يثني على زوجته، ويفديها بمهجته، ويصف حذقها في صنعتها، وتأنقها في طبخها...¹.

وفي ذات السياق يقول البطل في المقامة السكاجية مثل قول أبي الفتح: "يا رفاقي الأحرار ويا زمرة الأخيار قصتي مع السكاجية طويلة أي تعادل عشرة ليال من أطول ليالي الشتاء، لا أستطيع أن أحكيها في هذه الفترة الزمنية... ثم أنشد قائلا:

فَفِي سَمَرِي مَدَّ كَهَجْرِكَ مُفْرَطٌ وَفِي قِصَّتِي طُولٌ كَصَدْعِكَ فَاحِشٌ

ثم أضاف: "اعلموا يا إخوان الصفا، وأعوان الوفاء، أنني في وقت من أوقات إقبال الشباب، بلغت مدينة نيسابور أثناء سفري واغترابي، فرأيت تلك الخطة المزدانة... إلى أن قال: وذات يوم رأى السيد البزاز أن يتشبث بالاحتفاء بي من باب الإكرام والإعزاز فقال: إنني أرى شمائلك مخايل الفضلاء، فما قولك في أن تحضر لدينا، وتكسر رغيفا على مائدتنا فتقليد الضيافة قديم..."².

والبطل في هذا المشهد يدرك الخطر المحقق به، لهذا قام بسرعة لينجو من ثرثرة المضيف، إلا أن التاجر لا يستسلم بسهولة، ولا يرض بانقلاب البطل عن سيطرته، فيلحق به مناديا: "يا أبا الفتح المضيرة". ولعل إضافة المضيرة لاسم أبي الفتح يؤكد

1- محمد عبده، المرجع السابق، ص124..

2-- محمد بديع جمعة، المرجع السابق، ص275.

أن العامل الأساسي في سيطرة التاجر على الإسكندري كان الطعام (المضيرة)، وهذا هو السلاح الذي كان يعتمد عليه.¹

بعدها يلحق به الصبيان ويظنون أن اسمه "أبا الفتح المضيرة"، وهنا يظهر صراع بين التاجر والصبيان من جهة، والإسكندري من جهة أخرى ويحاول الإسكندري النجاة بنفسه فيلجأ في نهاية المطاف إلى العنف لفك هذا الحصار فيقول: "فرميت أحدهم بحجر من فرط الضجر، فلقي رجل الحجر بعمامته، فغاص في هامته، فأخذت من النعال بما قدم وحدث، ومن الصفع بما طاب وخبث، وحشرت إلى الحبس، فأقمت عامين في ذلك النحس، فنذرت أن لا أكل مضيرة ما عشت...".²

هذا الأسلوب نراه جليا في مقامة الحميدي الذي يقول: "وانتهت تلك الحال من الجهل إلى أن أحاط بي فوج من العسس عند نقطة حراسة وأوجعوني ضربا بالهروات، وخلعوا عني ثيابي، فجعلوني أشبه بالثومة وزجوا بي في سجن الشرطة عاري الرأس حافي القدم، وجعلوني زميلا للسجناء وأسلموني ليد الجلاذ فبقيت شهرين في ذلك الكهف سجيناً مع اللصوص وقطاع الطرق، وليس لي صديق قط علم بحالي، أو خبر عن مالي".³

1- عبد الرزاق حسن رحمانى، المرجع السابق، ص28.

2- محمد عبده، المرجع السابق، ص136.

3- محمد بديع جمعة، المرجع السابق، ص276.

وقد أخذ الحميدي عن الهمذاني أسلوب الخداع عن طريق استخدام الحيلة للإيقاع بضحاياهم، فقد احتال كل منهما لكي يحقق الهدف الذي يرمي إليه البطل في كل مقامة، ففي المقامة الهمذانية احتال صاحب الدار كي يأخذ الدار بثمن بخس عن طريق بيع الملابس بالأجل لصاحب الدار والانتظار عليه حتى يضيع كل ما في يديه، ثم يطالب بالسداد. وعندما لا يستطيع الدفع يساومه على بيع الدار، وقد قال: "وسألته أن يجعل داره رهينة لدي، ووثيقة في يدي، ففعل ودرجته بالمعاملات إلى بيعها حتى حصلت لي بجد صاعد، وبخت مساعد، وقوة مساعد، ورب ساع لقاعد، وأنا بحمد الله مجدود، وفي مثل هذه الأحوال محمود...".¹

ذات الشيء نجده في المقامات الفارسية، فقد بين الحميدي كيف احتال صاحب الدار على أصحابه كي يسلبهم إياها بثمن بخس، فقد قال: "وقد استوليت عليها بلطائف الحيل، ودقائق العمل، وحصلت عليها بحبائل الشباك، وكأنني صياد، فحملت ورثة صاحب الدار على أخذها من الحاكم، ثم قمت بكثير من الوشاية والسعاية، حتى استوليت على هذه الدار بآلاف الحيل والتدابير... وأنا أقص هذه السيئات، وأسرد تلك الشرور حتى تقبل النصيحة، وتترك أن اغتصاب المال لا يتحقق دون اغتصاب".²

¹-محمد بديع جمعة، المرجع السابق، ص 279، 280..

²- المرجع نفسه، ص 280.

2- أصل تبطه نذوب غي طلق ذلك قطي حگنجد:

بالرغم من تأثر الحميدي بالمقامات العربية خاصة المقامة المضيرية، إلا أنه أضفى عليها صبغة فارسية، حتى تكون قريبة من بيئته ولكي يفهمها العجم.

إذ أن الحميدي قام بتغيير اسم الطعام الذي سميت به المقامة الهمذانية، ألا وهو **المضيرة وأسامها سباجا**، وهو طعام فارسي مكون من بعض البقول ممزوجة بالخل وقطع اللحم.

والمسحة الفارسية بادية أيضا في نقله مسرح الحكاية **من بغداد إلى نيسابور**، أي من البيئة العربية إلى البيئة الفارسية. وقد أثرت هذه النقلة فيما ذكر من أشخاص، فبعد أن ذكر الهمذاني في مقامته معاوية بن أبي سفيان نجد الحميدي يذكر صاحب الري. وإذا كان الهمذاني قد ذكر أن صانع باب الدار رجل من البصرة اسمه أبو إسحاق. وأن الإبريق من نحاس **الشام** ومن صنع العراق، فقد حرص الحميدي على ذكر: أن الشال الذي يلبسه غلامه مصنوع في **طبرستان**، وهكذا أصبحت البيئة التي تدور فيها أحداث المقامة الفارسية بعد أن كانت عربية عند بديع الزمان.¹

وهناك تشبيهات تستخدم بكثرة في الأدب الفارسي، منها قوله: "لقد استولى زنجي الليل على ملك رومي النهار إذ شبه الليل بالزنجي" ويضيف قائلا: "فلما لمع عذرا

¹-محمد بديع جمعة، المرجع السابق، ص 283، 284..

الرومي النهار، وأزلفت قدم زنجي الليل، وأطلق الشيخ عنانه مع الصباح الباكر، واختنفى عن العيون كالليلة الفاتنة: .وهنا يشبه النهار بالرومي " .

ومن التشبيهات الفارسية أيضا تشبيه الليل بالمسك التتري، إذ يقول : "وكان كحال الليل قد كحل عين النهار بالظلام، وانتشر مسك التتار الأسود في ثنايا عذرا النهار الأبيض" ¹.

وإلى جانب هذا نجد النزعة الصوفية جلية هذه المقامات، إذ جعل الدعوة توجه إلى الجماعة لا إلى شخص واحد، وهو نفس الأمر في المقامة المضيرية، ولهذه الجماعة شيخ لا يصح للمريدين أن يؤموا مكان دونه إلا وكان معهم لذا ذهبوا إليه ودعوه لمرافقتهم قائلين له بعد أن احتج بأن الدعوة لم توجه له: "الله الله، إننا في هذه الضيافة فروع أنت أصلها، ونحن في تلك الهيجاء سهام أنت نصالها، وليمتلئ بالشوك بساط نطؤه دونك، وليكن غصة في الحلق طعام نأكله بغير مشاركتك" .

فرد عليهم الشيخ ردا صوفي خالصا حيث قال: "إن ما أقوله هو تمام أرباب الحقيقة، أما ما تطلبونه فهو تحكم أصحاب الطريقة". ثم قبل الدعوة معللا قبوله إياه تشبها بالرسول عليه الصلاة والسلام في قبول دعوة الملوك: "اعلموا أن لي روحا بين جنبي

¹-المرجع السابق محمد بديع جمعة، ص285.

تنسب شريعة الضيافة إلى كرم الطبيعة، وتلك سنة مسلوكة بين الرعايا والملوك، وكان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة الملوك".¹

وهكذا حاول الحميدي إجراء بعض التغيير في مقامته السكاجية وأضفى عليها مسحة فارسية، لكن الأثر العربي ظاهر فيها فهو لم يستطع التخلص منه، لهذا جاءت مقامته تقليدا للمقامة المضيرية.

¹-محمد بديع جمعة، المرجع السابق، ص، 285



خاتمة

خاتمة :

و كما جرت العادة لكل بحث أكاديمي خاتمة و خاتمة بحثي هذا ستكون عبارة عن جملة من النتائج أهمها:

المقامة فن من الفنون النثرية المتميزة بمحتواها و إطارها استحدثت في القرن الرابع الهجري على يد ابن دريد ثم تأصل هذا الفن على يد بديع الزمان الهمداني و جاء بعده تلميذه الحريري و غيرهم ممن نسج على منواله.

المقامة بصفة عامة عبارة عن قصص قصيرة مثيرة و مسجوعة تحمل في طياتها طابعا حجاجيا يخدم الى حد بعيد مبتغى البطل.

للمقامة تياران في الأدب العربي : تيار أدب الحرمان و التسول و تيار أدب الصنعة و هذان التياران يعدان مصدرين لنشأة و ظهور فن المقامة .

الهدف الذي ترمي إليه المقامة هو هدف تعليمي قبل كل شيء، و القصص فيها وسيلة و المعلومات فيها مختلفة منها ما هو علمي، و ما هو لغوي و ما هو تاريخي.

تسرب البيئة الفارسية إلى البيئة العربية نتيجة الظروف التي سادت في القرن الرابع الهجري من تعاقب الولاة على الخلافة و غيرها فظهرت طبقة تعاني الفقر فاتخذت الأدب طريقة للتسول لأجل لقمة العيش مع انتهاج أسلوب التزويق و التتميق اللفظي الذي اختلف به الأدب عامة و فن المقامة خاصة.

إن فن المقامات نقل من الأدب العربي إلى الأدب الفارسي فلم يؤثر عن الأدب الفارسي أن كتبت به مقامات قبل مقامات الحميدي التي كتبت على غرار مقامات بديع الزمان و الحريري

لقد كان هناك علاقات قوية بين الأدب العربي و الأدب الفارسي قبل الفتح الإسلامي و قد أوجدت هذه العلاقة فرصا عديدة للتأثير و التأثر بين الأدبيين. إن المقامات لم تعرف بالأدب الفارسي قبل بديع الزمان الهمداني و لا في عصره هذا يعني أن المقامات هي عربية بداية و أصلا و صناعة .

لقد أثرت المقامات العربية في المقامات الفارسية التي أنشأها الحميدي إذ جاءت هذه المقامات تقليدا لمقامات بديع الزمان الهمداني

يعد بديع الزمان الهمذاني المبتكر الأول لفن المقامة الذي انتشر على نحو واسع كأحد فنون النثر في الأدب العربي.

عدد مقامات الهمذاني اثنان و خمسون مقامة و هي التي وصلت إلينا و كل كلام آخر ليس سوى إفتراضات لا دليل على صحتها .

إن بديع الزمان الهمذاني قد اتخذ لمقاماته رواية و هو عيسى ابن هشام و بطلا و هو أبو الفتح الإسكندري ، و عيسى يروي في كل مقامه حيلة لأبي الفتح مع شيء من حوار ه معه.

أغلب مقامات الهمذاني تدور حول موضوع الكدية و الاحتيال و نجده أحيانا يخرج عن هذا ليدخل في مواضيع أخرى من مديح و نقد و وعظ و حث على العلم و التعليم .

إن أسلوب مقامات الهمذاني أكثر انطبعا و أشد انسجاما و أبعد عن زخرف الصياغة و غريب اللغة .

عدد مقامات الحريري قد بلغت خمسين مقامة و هذا ما أكدته العديد من المصادر .

أسند الحريري رواية مقاماته الى الحارث بن همام و بطلها أبو زيد السروجي من أهل الكدية .

الموضوعات التي بنى عليها الحريري مقاماته هي كتلك التي اختارها بديع من نقد و حوار أدبي و إرشاد و جدل.

تعتبر المقامة لدى كل من الهمذاني و الحريري بمثابة سجل حافل بأحوال مجتمعها كما يمكن اعتبارها من الوثائق التاريخية التي تعطينا فكرة صريحة عن الحياة الإجتماعية في زمنهما و أحوال عصرهما .

المقامة المضيرية لها طابع جمالي و ذلك لإحتوائها على العديد من الصور البيانية والمحسنات البديعية

تنفق مقامات الحميدي مع مقامات الهمذاني في العناية بالألفاظ و بخاصة صناعة السجع وكذلك الإكثار من الألغاز و كذلك غلبة اللفظ على المعاني و كثرة الألفاظ العربية التي يصعب على القارئ الفارسي العادي فهمها.

نتيجة لتأثر مقامات الحميدي الفارسية بالمقامات العربية فقد كثرت فيها الألفاظ و الجمل العربية و الأمثال و الأبيات الشعرية و الاقتباس من القرآن و الحديث النبوي الشريف ..

على الرغم من التغيرات التي أجراها الحميدي في بعض مقاماته فإنه لم يستطع التخلص من الأثر العربي فجاءت مقاماته تقليدا للمقامات العربية من حيث الإطار العام و العناية بالألفاظ و خاصة صناعة السجع و كثرة الألفاظ و الجمل و العبارات العربية

و مجمل القول أن المقامات العربية و الفارسية كانت و مازالت تمثل تراثا أدبيا زاخرا بمختلف العلوم الأدبية و اللغوية و هي جزء لا يتجزأ من تراثنا الأدبي وضعها الهمداني و كانت البداية معه ليأتي الكثير من الأدباء بعده ليكتبوا على طريقته و ينهجوا نهجه في كتابة فن المقامة.



ملاحق

طهق دلبطك بئمنذك طهق خدمك في دلة ذك طهق ذلك طهق هشي

حدثنا عيسى ابن هشام قال: كنت بالبصرة ومعى أبو الفتح رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه، والبلاغة يأمرها فتطيعه، وحضرنا منه دعوة بعض التجار، فقدمت إلينا مضيرة، تشني على الحضارة، وتترجرج في الغضارة، وتؤذن بالسلامة، وتشهد لمعاوية رحمه الله بالإمامة، في قصعة يزل عنها الطرف، ويموج فيها الطرف، فلما أخذت من الخوان مكانها، ومن القلوب أوطانها، قام أبو الفتح الإسكندري يلعنها وصاحبها، ويمقتها وآكلها، ويثلبها وطابخها، ووطنها يمزح فإذا الأمر بالضد، وإذا المزاح عين الجد وتتحنى عن الخوان، وترتك مساعدة الإخوان ورفعناها فارتفعت معها العيون، وتحلبت لها الأفواه، وتلمظت لها الشفاه، واتقدت لها الأكباد وثارفي إثرها الفؤاد ولكننا ساعدناه على هجرها، وسألناه عن أمرها فقال: قصتي معها أطول من مصيبي فيها، ولو حدثكم بها فلا آمن المقت، وإضاعة الوقت، قلنا هات، قال: دعاني بعض التجار إلى مضيرة وأنا ببغداد، ولزمني ملازمة الغريم، والكهف لأصحاب الرقيم، إلى أن أحبته إليها وقمنا فجعل طول الطريق يثني على زوجته، ويفديها بمهجته، ويصف حذقها في صنعتها، وتأنقها في طبخها ويقول: يا مولاي لو رأيتها، والخرقة في وسطها، وهي تدور في الدور، من التنور إلى القدور، ومن القدور إلى التنور ولو رأيتها وهي تنفث بفيها النار، وتدق بيديها الأبرار، ولو رأيت الدخان وقد غبر في ذلك الوجه الجميل، وأثر في ذلك الخد الصقيل، لرأيت منظرا تحار فيها العيون، وأنا أعشقها لأنها تعشقني ومن سعادة المرء أن يرزق المساعدة من حليلته، وأن يسعد في طعنته، ولاسيما إذا كانت من طينته، وهي ابنة عمي لحا، طينتها طيني، ومدينتها مدينتي، وعمومتها عمومتي، وأرومتها أرومتي، لكنها أوسع مني خلقا، وأحسن خلقا، وصدعني بصفات زوجته، حتى انتهينا إلى محلته، فقال: يا مولاي ترى هذه المحلة؟ هي أشرف محال ببغداد، يتنافس الأخيار في نزولها، ويتغاير الكبار

في حلولها، ثم لا يسكنها غير التجار، وإنما المرء بالجار، وداري في السلطة من قلاذتها، والنقطة من دائرتها، كم تقدر يا مولاي أنفق على كل دار منها؟ قلته تخميناً، إن لن تعرفه يقينا، قلت: الكثير، فقال: يا سبحان الله ما أكبر هذا الغلط تقول الكثير فقط؟

وتتنفس الصعداء، وقال: يا سبحان من يعلم الأشياء، وانتهينا إلى باب داره، فقال: هذه داري، كم تقدر يا مولاي أنفقت على هذه الطاقة؟

أنفقت والله عليها فوق الطاقة، وراء الفاقة، كيف ترى صنعتها وشكلها؟ انظر إلى دقائق الصنعة فيها، وتأمل حسن تعريجها، فكأنما خط البركار، وانظر إلى حذق النجار في صنعة هذا الباب، اتخذته من كم قل: ومن أين أعلم؟ هو ساج من قطعة واحدة لا مأروض ولا عفن، وإذا حرك أن، وإذا نقر طن، من اتخذته يا سيدي؟ اتخذته أبو إسحاق بن محمد البصري، وهو والله نظيف الأثواب، بصير بصنعة الأبواب، خفيف اليد في العمل، الله در ذلك الرجل بحياته لا استعنت إلا به على مثله، وهذه الحلقة تراني اشتريتها في سوق الطرائف من عمران الطرائفي بثلاثة دنانير معزية، وكم فيها ياسيدي من الشبه؟ فيها ستة أرطال، وهي تدور بلولب في الباب، بالله دورها، ثم انقراها و ابصرها، وبحياتي عليك لا اشتريت الحلق إلا منه وليس البيع إلا الأغلاق، ثم قرع الباب ودخلنا الدهليز، وقال: عمرك الله يا دار ولا خربك يا جدار فما أمتن حيطانك، وأوثق بنيانك، وأقوى أساسك، تأمل بالله معارجها وتبين دواخلها وخوارجها، وسلني: كيف حصلتها؟ وكم من حيلة احتلتها، حتى عقدتها؟ كان لي جار يكنى أبا سليمان يسكن هذه المحلة، وله من المال ما لا يسعه الخزن، ومن الصامت ما لا يحصره الوزن، مات رحمه الله وخلف خلفاً أتلفه بين الخمر والزمر، ومزقه بين النرد والقمر، وأشفت أن يسوقه قائد الاضطرار، إلى بيع الدار، فبييعها في أثناء الضجر، أو يجعلها عرضة للخطر، ثم أراها، وقد فاتني شراؤها، فأتقطع عليها حسرات

، إلى يوم الممات، فعمدت إلى الأثواب لا تنعى تجارتها فحملتها إليه ،وعرضتها عليه، وسأومته على أن يشتريها نسية، والمدبر يحسب النسبة عطية، والمتخلف يعتادها هدية، وسأله وثيقة بأصل المال ،ففعل وعقدها لي، ثم تغافلت عن اقتضائه، حتى كادت حاشية حاله ترق ، فأتيته فاقتضيته، واستمهلي فأنظرته، والتمس غيرها من الثياب فأحضرته، وسأله أن يجعل داره رهينة لدي، ووثيقة في يدي ،ففعل، ثم درجته بالمعاملات إلى بيعها حتى حصلت لي بجد صاعد، وبخت مساعد ،وقوة ساعد ،ورب ساع لقاعد، وأنا بحمد الله مجود ، وفي مثل هذه الأحوال محمود، وحسبك يا مولاي أني كنت منذ ليال نائما، في البيت مع من فيه إذ قرع علينا الباب ،فقلت :من الطارق المنتاب، فإذا امرأة معها عقد لآل، في جلدة ماء ورقة آل ،تعرضه للبيع فأخذته منها أخذة خلس، واشتريته بثمن بخس، وسيكون له نفع ظاهر، وربح وافر ،بعون الله تعالى ودولتك ، وإنما حدثتك بهذا الحديث لتعلم سعادة جدي في التجارة ،والسعادة تنبسط الماء من الحجارة، الله أكبر لا ينبئك أصدق من نفسك ولا أقرب من أمسك، اشتريت هذا الحصير في المنادة ،وقد أخرج من دور آل الفرات، وقت المصادرات، وزمن الغارات، وكنت أطلب مثله منذ الزمن الأطول فلا أجد، والدهر حبلى ليس يدري ما يلد، ثم اتفق أني حضرت باب الطاق، وهذا يعرض في الأسواق فوزنت فيه كذا وكذا دينار، تأمل بالله دقته ولينه، وصنعتة، ولونه فهو عظيم القدر، لا يقع مثله إلا في الندر، وإن كنت سمعت بأبي عمران الحصيري فهو عمله، وله ابن خلفه الآن في حانوته لا يوجد أعلاق الحصر إلا عنده، فبحياتي لا اشتريت الحصر إلا من دكانه، فالمؤمن ناصح لإخوانه، لا سيما من تحرم بخوانه، ونعود إلى حديث المضيرة ،فقد حان وقت الظهيرة، يا غلام الطست والماء، فقلت :الله أكبر، ربما قرب الفرج، وسهلا لمخرج، وتقدم الغلام؟ إنه رومي الأصل ،عراقي النشء، يا غلام، واحسر عن رأسك، وشمر عن ساقك وانض عن ذراعك ،وافتر عن أسنانك، وأقبل وأدبر ،ففعل الغلام ذلك وقال للتاجر :بالله من اشتراه؟ اشتراه

والله أبو العباس، من النحاس، ضع الطست، وهات لإبريق، فوضعه الغلام، وأخذه التاجر وقلبه وأدار فيه النظر ثم نقره، فقال: انظر إلى هذا الشبه كأنه جذوة اللهب أو قطعة من الذهب، شبه الشام، وصنعة العراق، ليس من خلقان الأغلاق، وقد عرف دور الملوك ودارها، تأمل حسنه وسلني متى اشتريته؟ والله عام المجاعة، وادخرته لهذه الساعة، يا غلام الإبريق، فقدمه، وأخذه التاجر فقبله، ثم قال: وأنبويه منه، لا يصلح هذا الإبريق إلا لهذا الطست، ولا يصلح هذا الطست إلا مع هذا الدست، ولا يحسن هذا الدست إلا في هذا البيت ولا يجمل هذا البيت إلا مع هذا الضيف، أرسل الماء يا غلام فقد حان وقت الطعام، بالله ترى هذا الماء ما أصفاه، أزرق كعين السنور، وصاف كقضيب البلور، استقي من الفرات، واستعمل بعد البيان فجاء كلسان الشمعة، في صفاء الدمعة، وليس الشأن في السقاء، الشأن في الإناء، لا يدلك على نظافة أسبابه، أصدق من نظافة شرابه، وهذا المنديل سلني عن قصته، فهو نسج جرجان، وعمل أرجان وقع إلي فاشتريته، فاتخذت امرأتي بعضه سراويل، واتخذت بعضه منديلا، دخل في سراويلها عشرون ذراعا، وانتزعت من يدها القدر انتزاعا، وأسلمته إلى المطرز حتى صنعه كما تراه وطرزته، ثم رددته إلى السوق، وخزنته في الصندوق، وادخرته للظراف، من الأضياف، لم تذله عرب العامة بأيديها، ولا نساء لمآقيها، فلكل علق يوم، ولكل آلة قوم، يا غلام الخوان، فقد طال الزمان، والقصاع، فقد طال المصاع، والطعام، فقد كثر الكلام، فأتى الغلام بالخوان، وقلبه التاجر على المكان، ونقره بالبنان، وعجمه بالأسنان، وقال: عمر الله بغداد فما أجود متاعها، وأظرف صناعتها، تأمل بالله هذا الخوان، وانظر إلى عرض متته، وخفة وزنه، وصلابة عوده، وحسن شكله، فقلت: هذا الشكل، فمتى الأكل؟ فقال: الآن، عجل يا غلام الطعام، لكن الخوان قوائمه منه، قال أبو الفتح الإسكندري: فجاش نفسي، وقلت: قد بقي الخبز وآلاته، والخبز وصفاته، والحنطة من أين اشتريت أصلا، وكيف اكرتري لها حملا، وفي أي رحى طحن، وأجانة عجن، وأي تنور سجر، وخباز استأجر، وبقي الحطب

من أين احتطب، ومتى جلب؟ و كيف صنف حتى جفف؟ وحبس حتى جفف؟ وحبس حتى يبس، وبقى الخباز ووصفه والتلميذ ونعته، والدقيق ومدحه، والخمير وشرحه، والملح وملاحته ، وبقيت السكرجات من اتخذها ،وكيف انتقدها؟ومن استعملها؟ ومن عملها،والخل كيف انتقى عنبه و اشترى رطبه؟ وكيف صهرجت معصرته،واستخلص لبه ؟وكيف قير حبه؟وكم يساوي دنه؟وبقى البقل وكيف احتيل له حتى قطف؟ وفي أي مبقلة رصف؟وكيف تؤنق حتى نظف؟ وبقيت المضيرة كيف اشترى لحمها ؟ووفي شحمها؟ونصبت قدرها،وأجبت نارها،ودقت أبقارها ،حتى أجيد طبخها ،وعقد مرقها؟وهذا خطب يطم،وأمر لا يتم ،فتمت،فقال:أين تريد؟ فقلت:حاجة أفضيها ،فقال:يامولاي تريد كنيفا يزري بربيعي الأمير، وخريفي الوزير، قد جصص أعلاه،وسهرج أسفله،وسطح سقفه، وفرشت بالمرمر أرضه، يزيل عن حائطه الذر ،فلا يعلق،ويمشي على أرضه الذباب فيزلق،عليه باب غيرانه من خليطي ساج وعاج، مزدوجين أحسن ازدواج،يتمنى الضيف أن يأكل فيه ،قلت : قبحك الله كل أنت من هذا الجراب ،لم يكفن الكنيف في الحساب ،وخرجت نحو الباب،وأسرعت في الذهاب،وجعلت أعدو وهو يتبعني ويصيح :يا أب الفتح المضيرة،وظن الصبيان أن المضيرة لقب لي فصاحوا صياحه،فرميت أحدهم بحجر ،من فرط الضجر،فلقي رجل الحجر بعمامته ،فغاص في هامته ،فأخذت من النعال بما قدم وحدث، ومن الصفع بما طاب وخبث،وحشرت إلى الحبس،فأقمت عامين في ذلك النحس ،فندرت ألا آكل مضيرة ما عشت ، فهل أنا في ذا يالهمذان ظالم؟

قال عيسى بن هشام:فقبلنا عذره، ونذرنا نذره،وقلنا:قديما جنت المضيرة على الأحرار ،وقدمت الأراذل على الأخيار.

طهق ذل بلق بئذب طهق ذه م غى طهق حككث

(لك قذلة هسى طهق ذذب)

حكى لي صديق كان في القول أمينا وفي الأسرار كتوما، وكان المقدم بين أرباب
الوفاء ورأس قائمة أهل الصفاء، قال: في وقت من الأوقات عندما كانت كسوة الصبي
ذات بهاء، وشيطان الشباب في غلواء غوايته، وحلة الطفولة لها من الخلاعة مظهر
وطراز، وكان غصن الشباب يتمايل مع نسائم الأمل والأمانى، وكان العمر غضا
طريا، والعيش حلوا رخوا، فكان لنا في كل صباح صبوح وفي كل رواح فتوح.

أبيات في الأصل وترجمته

-في تلك اللحظة التي لم يكن الفلك فيها يدانيني.

لم تكن عين القدر الغادر والحظ العاثر تلاحقني.

-وأثناء السعي العبث واللهو في حرم الطفولة.

لم يكن هناك خوف من شرطي أو عسس.

-وعندما كان لبن الطفولة يقطر من الشفاة.

-لم تعكر شائبة من الشيب والشيخوخة كأس العمر.

شعر

زمان في أسرته ضياء وعيش في بدايته سرور
فصبح العيش رايته الدراوي دليل العمر حيلته البدور

وكنت نشوة غلواء هذا الغرور ، وخيلاء ذلك السرور والحبور، أدور مع زمرة من
الظرفاء وفرقة من الخلان، كريم الصبا من صف إلى صف، وأنتقل كالخمر
المصفى، من كف إلى كف ، وكنت أذرع بساطة النشاط بقدم الانبساط، وكنت
أطوف مع الأصدقاء في جنبات البستان، من بالغ الطيش ورخاء العيش، فكنت ألقى
في كل يوم باش الوجه سمحه، واصطفي في كل ليلة رفيقا سخي الطبع، ألبث معه
من غرة الصباح الغراء حتى طرة الرواح، ومن ذنابة النهار المنير إلى ذنابة الليل
الديجور، بين انشغال بلهو أو اقتراف لمنكر منهى عنه.

أبيات في الأصل وترجمتها

- حين كنت أجز الذيل على بساط المنادمة والمؤانسة.

وحينا آخر كنت أرتشف الكأس من يد الجواري الطبيبات المجالسة.

- فلم أكن أطلب الماء إلا في صورة الكأس.

ولم يكن يداعبني في نومي إلا خيال الكأس.

حتى كان يوم كان واحد من جماهير الدهر ومشاهير البلدة، كان في الفتوة صاحب اسم، وفي المروءة ذا رغبة وسبق، أن يجمع إخوان الصفاء حول خوان السخاء، وأن يبحث أ Bakar كل واحد بأن يشم رائحة بخور كل منهم، وأن يعلم كنه حاله، ويطلع على مكنون فضله، وأن يصبح مع تلك الفئة نديم الكأس، ولتلك الطائفة شريك ألفاظ وأنفاس. فعين ميقات مرقوما وموعدا لشخص من تلك الطائفة كانت له به معرفة، وكانت الأذان له في الأمر والنهي مصغية مرهفة، فاختر من الليالي أطولها، وفضلا من الأطعمة "السكباج" أو سمها، واستقر أن تكون من غرفة معطرة، واختار اللوزينة المدهنة، لما رأى أصحاب تلك الشارة هذه البشارة، واستمعوا لهذه العبارة، صانوا المعدات والأعماء من التلوث بالطعام لمدة أسبوع، وتأهبوا لنوال تلك الفائدة، وهبوا للالتفاف حول تلك المائدة، وتسابقت جميع الشفاة والأسنان، تقول لبيك كأنهم المتصرفون، وأفسحوا جميعا الأفواه والمعدات لتلقي لقمة الدعوة كأنهم "الخوارزمي".

بيت في الأصل وترجمته

-إني أسعى نحوك حثيثا يا شبيه القمر والشمس.

مثلا يسعى الحجيج إلى الوقوف العام وأنا خاضع متواضع كالمتصوفة.

فلما بلغ الحين الأجل المضروب، و تسرحت الأيام الموعودة، وحلت الليلة الموعودة مضى ذلك الحشد من الأضياف وكرام الأشراف من الفلق إلى الغسق نحو منزل الضيافة، بمعدة مدبوغة وأمعاء مفجوعة،، وقد مارسوا رياضة الجوع خمسة أيام حتى صار كل منهم كأنه النعامة التي تلتهم النار ، أو العنقاء التي تمضغ العظام.

-كان كل واحد منهم يسعى بطبع نظيف وقلب طيب.

كأنه النعامة التي تلتهم النار.

وقبل التوجه إلى تلك الغنيمة، والإتفاق على هذه النية، كان يشاركنا السر ويقاسمنا الرأي في الجدل والنقاش شيخ أديب غريب، فلم نشأ أن يتخلف عن مشاركتنا، أو يحرم من فائدة تلك المائدة حتى لا يغتم ويحزن لانفراده عنا في تلك الليلة، فلم نستتر عنه أمر هذا الاجتماع، وخبر تلك الوليمة، فأبلغناه ما سمعناه، وأجلسناه في مسند الاستماع، وتلونا عليه قولهم: لو دعيت إلى كراع لأجبتة. فقال بلسان قاطع وبيان ساطع: أيها السادة، مالي به عهد ولا عادة فلتتهياً أسباب لذاتكم وتهناً كؤوس راحتكم. فليس عادة الكرام النزول بطريق التطفل، وليس استجلاب الفوائد باجتماع الموائد سوى طبع اللئام، فالكريم يستضاء بزينة ويلتقط كسرة بيته.

سعد

وإن الحر لو أذاه جوع صبور في تلهيه قنوع

اذؤ غيئ لآئف هة دجئذذ

-لو كان في كأسك جرعة واحدة فارتشفها.

واقصر يدك عن كأس الآخرين وطاسهم.

فلئن تتخذ من كبذك شواء، خير لك من أن ترتشف من كأس الآخرين، إذ يستوي داخل هذا الجسد المجوف الخمر والجمر، ويستوي داخل هذا الجسم النهم الشوك والتمر، وليس كل من يقدم الطعام "حاتم الطائي" ولا كل من يقدم الموائد "صاحب الري" فاذهبوا صحبتكم السعادة فليست لي رأس متلطف، ولا قلب سف دنيء.

"سعد عدى الكئ لآئف"

فالحر يشرب من جنيفه في الظمأ وربما يرتضي العطشان بالحمأ

قلنا :الله الله إننا في هذه الضيافة فروع أنت أصلها، ونحن في تلك الهيجاء سهام أنت نصلها، وليمتلئ بالشوك بساط نطؤه دونك، وليكن غصة في الحلق طعام نأكله بغير مشاركتك. قال الشيخ: إن ما أقوله إنما هو تمام أرباب الحقيقة، أما ما تقولونه هو

تحكم أصحاب الطريقة، فإن جرى الحديث بيننا من باب التحكم وليس من طريق
التعلم فلکم الحكم والأمر في روعي، واعلموا أن لي بين جنبي روحا تنسب شريعة
الضيافة إلى كرم الطبيعة، وتلك سنة مسلوكة بين الرعايا والملوك، وكان الرسول
صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة الملوك.

"سعد غي لآهف"

إن راق خلکم أو رق خمرکم سيان خلکم عندي وخمرکم
قولوا مقالا صريحا ما بدا فالحكم حکمکم والأمر أمرکم

فلما جلسنا إلى تلك المائدة كالحلقات المفكوكة، وفكنا عقد الاحترام عن الاحتشام
بالتبسط والابتسام، كانت الشمس إذ ذاك قد تجاوزت جيب المشرق، ومالت نحو
المغرب في قبة الفلك المدور، وكان كحال الليل قد كحل عين التجارة بالظلام وانتشر
مسك التتار الأسود في ثنايا عذرا النهار الأبيض، فتبدل حال النهار، واصطبغ رداء
الصباح بالغاز.

آندة غي لآهف هة دجئئد

-لقد تشفى لقلبه الحقود المنتقم.

زنجي الليل فاستوى على ملك رومي النهار.

- واتخذت المياه القاتمة لسيل الليل المظلم.

هدفا لها من كبد الشمس الملتهبة الدافئة الحارقة.

وأقبل المضيف الظريف يرفل في جبة لطيفة وعمامة نظيفة، فبسط فراشا وأحضر طعاما، ومد خوانا أكثر زينة من وجه العرائس وأروع تناسقا من ذؤابات الحسان، فكأنه صفحات كتاب "ماني"¹ المصور مزدانة لألف لون، في كل ظرف ملعقة، وفي كل ركن إناء، والملعقة ألطف من الإناء، والظرف أجمل من المظروف، وقد ضم في صفحته حيوانات البر والبحر، وشاع في جوانبه ألوان العقيق و الطرى، واجتمع فيه الثور والحمل في برج واحد، كما التقى الطائر مع السمك في برج واحد.

انئذم غىء لآشف هة بصئئئئ

ظاهر في أطراف صحنه، حمار الوحش إلى جنب سمك البحر.

-وتصادقت في رحابه الحمامة مع الطيبي، وتلازم الحمل وتآلف مع الحلوة.

ففي كل نوع حضرة وطرارة، وفي كل لقمة لذة وحلاوة، وقد اختلت هالات كاسات "السكباچ" صدر المكان كالبدور، واعترى الكسوف الشمس المنيرة أمام صفاءها وحملت العين في تلك السكباجة.

سعد عدى غىء لآشف يلوح في هالة الإناء تلالؤ الشمس بالضياء

(1) يقال أن ماني الذي ادعى النبوة أيام الدولة الساسانية في إيران، كان بارعا في الرسم وخلف وراءه كتابا يضم رسومه ولوحاته عرف باسم "ارزن كمانى"

كأنها النهار في التجلي وكأنها النار في الصفاء

وكان وجهها كوجه البخلاء أصفر، وزعفرانها بلون المرضى المعتلين مكهفرا، فكانت كوجه العشاق مختلة ومثل شفاة المعشوقين معسلة، وقد زينت بلب اللوز، وطرزت بالسكر العسكري، وطيبت بالزعفران.

آئدة غي لآشف هة دجئئء

-تشبه المريض يلونها لكن فيها، دواء الوله وشفاء المرض.

-وقد أظهر في طهيها رئيس الطهاة عند طهيها، مهارات الصانع، وأضفعليلها روائح العطار.

سعد:

وسكباجة تشفي السقام بطعمها على أنها جاءت بلون سقيم

إذا زاره أيدي الرجال ترجفت كأيدي تبار في ظلام نعيم

فلما التقت عين الشيخ بالسكباجة تملك أعضاءه رعشة، وطلب في الحال الإذن بالارتحال، ونهض واقفا كأنه الشمعة، وأبدى رغبة في الانطلاق، كأنه الريح وبدأ يبدل قدما مكان الأخرى، فاحتارت الجماعة في تلك الحالة و أخذوا يفكرون في تلك المقالة

وكثر القيل والقال، فأخذ البعض يلومه، والبعض الآخر يعاتبه، وأصر الشيخ على الفرار ، وفضل لنفسه عدم البقاء أو الاستمرار ، وارتضى الملامة بدلا من البقاء والإقامة ، وأنشد تلك الأبيات بلسان فصيح وبيان مليح.

سعد عدي غيى لآقف

أودعكم إليوم القيامة بسحب العين هاطلة الغمامة

لقد أكرمتم ضيفا كريما ولكن في الحقيقة لا كرامة

وإني قد فررت وكم فرار إذا فكرت أحسن من إقامة

عند ذلك أخذ كل الرفاق بالتلطف به، واستجلوه سبب هذه الفرقة، وطال الجدل،

وكثر الكلام فقال الشيخ : ماشاء الله كان، فإن لها شانا، وهذا الدر غير المنظوم

أفضل، وعدم راوية هذا الحديث أجمل، فإذا لم يكن بد من إظهار تلك الخبيثة، وإجلاء

هذه الحقيقة، وإذا لم ينته هذا الإلحاح فعلى أي حال لا بد من التخلي عن التمتع بتلك

الليلة، ولا بد من رفع هذه المائدة من أمامي، فالشرط بيني وبين هذا الطعام بعد

المشرقين، والجمع بيني وبينه كالجمع بين الأختين، وهذا الإنعام في حقي مدعاة

للتكفير، هذا الإطعام لدى علة التعذير، فلست من أولئك القوم الذين يسقطون في

الشرك طمعا في حبة، ولا يتعففون عن اللوم العاجل والغرم الآجل، فرب نظرة دونها

أسلات، ورب أكلة تمنع أكالات.

آئدة غى لآشف هة دجئئد

-لا تقبل على الطعام من الباب الشهوة والدناءة.

تحقيقا للطمع وجريا وراء الحرص المفرط.

-فكرة الخبز هي التي تقوم بمهمة الصابون في التنظيف.

في أعقاب اللقمة الكثيرة الأخرى.

وكانت نهاية الحال بعد المقال أننا صرنا على الجوع أياما ثلاثة وأرغمنا الطبع على إبطال تلك الفائدة ،ورفع تلك المائدة، وخرسنا الصدر بذرة الصبر ،ورفعنا من أمامنا الخوان والسفرة ،فذهبت القلوب في إثرها موجعة وشيعتها العيون دامعة ، والكل يسيطر عليهم الوله بها.

اندؤ غى لآشف هة دجئئد

لقد همت الروح بالرحيل في إثرها عندما أسرع بالذهاب

ومضى القلب يتتبع لما لوت وجهها دون إياب.

ثم اتجه الجميع نحوه وقالوا: أيها الشيخ لقد نغصت حياتنا ،فعوضنا فيما فاتنا، قال

الشيخ: يارفقة الأحرار، وزمرة الأخيار، إن القصة التي لي مع السكباجة لا يستطاع

روايتها في عشر ليالي طوال .

سعد عدي غي لأقف

ففي سفري مد كهجرك مفرط وفي قصتي طول كصدقك فاحش

اعملوا يا إخوان الصفاء، وأعوان الوفاء، إنني في وقت من أوقات إقبال الشباب بلغت مدينة "نيسابور" أثناء سفري واغترابي، فرأيت تلك الخطة المزدانة، كعبة للأحلام، ومعقدا للآمال، فقلت في نفسي "بين تلك الزخرفات العديدة والزينات الكثيرة يمكن تمضية بضع أيام للراحة، والغرباء يجلسون في الشارع الأعظم فيرون الخير والشر من أحوال العالم، فجلست بباب حانوت بزاز، وعقدت مع صاحب الحانوت صداقة، فكنت أقضي الوقت من تنفس الصباح إلى غسق الليل، أستمع إلى أحاديث شتى الناس، وبحكم تلك المواظبة صارت لي معرفة أصلية بصاحب المحل، فلما تأصلت تلك الصداقة واستحكمت أوامرها، وتأكدت بيننا وشائج المودة تكاشفنا خبآت الضمائر، وأعلنا مكنونات السرائر فيما بيننا، وذات يوم رأى السيد البزاز أن يتشبه بالاحتفاء بي من باب الإكرام والاعتزاز فقال: "إني أرى شمائلك مخايل الفضائل، فيما قولك في أن تحضر لدينا، وتكسر رغيفا على مائدتنا، وتمد أصبعاً إلى وعاء ملحنة، فتقليد الضيافة تقليد قديم، وحق المسامرة والمماطلة حق عظيم، ولذلك فالخبز والملح قسم الأحرار، وعهد أباء الحلال الأطهار

آئدة غى لآشف هة دجئء

-إننا لنخطو فوق قبة الفلك بأقدامنا مثل الشمس و القمر.

لو أمكننا أن نأكل الخبز والملح من وصالك.

-وعندما صارت مائدة وصالك عسيرة لنا يقينا.

فحاشا أن يتردد لنا نفس بعد ذلك في محلة الشك.

-ولا كانت تلك اللحظة التي ترد فيها يدا.

للإشراف أو الاشتراك في ثنايا جلبات الغم والحزن.

-فمهلا يا من بذلت الوعود كثيرها وقليلها.

حتى تختبر وعودك على المحك التجربة والامتحان.

فقلت ليس لك حاجة لهذا الاجتماع ، وليس في هذا الشأن إلحاح أولجاج، فهذا

رسم المحبوب ، وقصد المرغوب،وسنة المندوب،فأسرع مهرولا كالريح،واغتتم فوائد

ذلك الموعد ،وذات ليلة من الليالي التي يكسو فيها السواد جسم الليل الأدهم، وتكحل

عين بالظلام،ويتشح فيه الفلك برداء ليلي ،ويكون للهواء فيها طيلسان كأديم الليل

أتى إلى باب عش السيد المضيف ساعيا سائلا،قال :لابد أن تزين حجرتنا الليلة،وأن

تخطف هذا الألم عن نفسي ،قلت:مرحبا بالضيف الكريم في الليل البهيم ،فلم

لاحظت رغبة المضيف انطلقت معه مسرعا إلى الطريق، فكان بيدي في كل لحظة لطفًا ويظهر اهتمام وعطفًا، حتى قطع من طريق مسافة، وسمع من الحديث طرف، فالتفت نحوي وقال: اعلم أن من هذه المحلة حتى محلتنا ألف خطوة، ومحلتنا ذات شهرة من ألف محلة، فمأواها عذب مستساغ، وهواءها منعش فيه الحياة، وبينما هذه المحلة التي نحن فيها مدمومة، فهي على الغرباء شؤم، مأواها آسن وهواها رديء عفن، تكثر العفونة في هذه التربة وفيها مساكن أهل المثالب من التعساء والمفلسين والبؤساء والمحتالين والأفاقيين، وهنا تصنع توابيت الموتى والجناز والمشانق والعاكزات خاصة لعابرين السبيل، بينما محلتنا محلة المياسير، ومسكن المشاهير. فقلت في نفسي -حسنا، حسنا عليك عين الله، لقد جاء أول الأقداح ثمالة وأول تشريف حجارة، فكل كلام يجري على هذا المنوال غير مناسب للمقام أو لائق للحال ثم عدت فاستعدت من نزاعات الشيطان، ونفرت من عثرات النفس والجنان، وطويت هذا البساط وقلت: "لا حول ولا قوة إلا بالله" ثم قال اعلم أيها الفتى الغريب أن الليل قصير، ولا زال الطريق إلى منزلنا يقرب من ميل، وسيد الدار تجهز الحجرة وتتوق للقائنا، وقد قيل: إن الغريب أصم وأعمى، والمفلس صاحب شر وفوضى، فهل تدري أنت منأي قبيلة وعشيرة، تلك المستورة، وكم هي لطيفة جميلة، وعلى أي نحو لي بها علاقة، وإلى أي مدى حبها لي؟ إنها أنفع لي من أم، وأفضل من أب، وأشفق من أخت، وأكثر عشقا من الرجل الشيخ للزوجة الشابة ذات الجمال، وهي اليوم من مطلع

فجره إلى غسق ليله مشغولة بالإعداد لأمرك، والترتيب لحفل ربيعك الجديد، فجهدها
موزع بين المطبخ والتنور والقدر وقد علا الدخان الأسود صفحة وجهها الذي يشبه
القمر، وصار البض الذي يشبه البلور لكثرة ما علاه من القذارة الحلة كأنه بطن
"السمور"

انؤغى لآ تف هة دجهئذ

تتألاً وسط الدخان كأنها القمر خلال السحاب.

فهل تعلم أن الحورية كانت لهذا العمل وا أسفاه.

فهيا حتى ندرك الآن الأثر أبلغ من الخبر، والعيان أوفى من البيان، فقلت في
نفسي لقد تجاوزت وصف المرأة الشارع وتكون إن شاء الله هذه المفاهمة نهاية السير،
وتتقضي الحكاية الثالثة بخير، ثم قال: لقد قيل حقا لا يصبح الغريب صديقا، ولا
يصير أليفا متفق المشرب والهواء، فأنت لم تسأل بعد كم فصل لهذا الأصل؟ وكم فرع
لهذا الزرع؟ فلأبين لكم مالم تطلبه، وأفتح لك مغاليق هذا السر. ألا فاعلم أن لي منها
إبنا وبنتا - الأول قمر والأخرى شمس، فالأول شمعة والثانية شهاب، البنات كالأم
ملاحة، والابن كالأب فصاحة وهذا دليل الحرية الظاهرة والبذرة الطاهرة، ودليل أصالة
الحسب، وطهارة النسب، ويمكن الإستدلال بهذا على أن الأم لم تكن منحرفة في
الشباب، وأن مجاري رحمها كانت طاهرة من أي ماء آسن غريب - فقلت: إن ما

يحل لك لا يجوز لآخر، وذلك الباب يغلق عليك لا يفتح لسواك، وليس لهذه الترتيبات احتياج و لا لهذه الترتيبات رواج" فالحرّة اليتيمة درة" وثقب الدر اليتيم ونظمه لا يتأتى من قشة، والنوم مع الحرّة الكريمة لا يباح لكل شخص.

سعد

والشبل إن أضحي وبات رضيعا لا يرتضي العجل السقيط ضجيعا

قال: بارك الله فيك ونثر الدر من فيك إذ نظمت هذا الدر الطيب وأطلقت هذا الكلام

العذب، فتذكر أن تقوله مرة أخرى هذه الليلة أمام جماعة المنزل، وتعرضه مسهبا

مبالغا فيه وفي النهاية بين القول والإصغاء بلغنا مدخل المحلة قرب صلاة العشاء

ونحن في هذا الحديث فقال: أبشر فقد وصلنا إلى مقعد الأصل وشارفنا موقف

الوصل، فطب قلبا فلم يبق إلى منزلنا كثير، وليس في الطريق خوف من شخص

فهذه محلة على من هم على شاكلتي في المذهب والأقارب المقربين إلي.

سعد عدي غيى لآقف

فقدر المرء يظهر بالأقارب فلا تقل الأقارب كالعقارب

إذا المرء ساعده بنوه فقد نال المطالب والمآرب

ثم وصلنا إلى حارة ضيقة ودهليز معتم فقال :قف مكانك وخذ عنانك ،فقد بلغت شرفات الجنات،فانظر وقد وصلت من عرفات إلى الغرفات، فلا تتحرك،ثم تخرج بعد ساعة بمصباح ضوءه خاب وصاح قائلاً:ادخل ولا تنتظر فقد انتهت المتاعب، وجاءت المكاسب ،فلما اجتزنا الشارع القديم ووصلنا الحريم، أبقاني في ركن وأجلسني في ناحية ،وانشغل هو مع عروس لعوب، وأطفال مشاكسين. فلما لبث زمانا،واستراح ساعة، عاد،قال:اعلم وكن خبيراً- ومثلي للغرباء مثابة وملجأ،أن قصري الذي تراه وتجلس فيه دون خوف أو آلام كان في العهد القديم سجيناً عظيماً، فكان يحتجز هنا السفاحون وتتساقط على هذا التراب رؤوس الناس.والآن تحت هذا التراب آلاف الرؤوس دون الخوف.وقد استولت بلطائف الحيل ودقائق العمل وحصلت عليه بحبائل شباك الصياد فحملت ورثة صاحب الدار على أخذه من الحاكم، وقمت بكثير من الوشاية والسعاية، حتى استوليت على هذه الدار بآلاف الحيل والتدابير،ولا يزال حتى الآن أحد خصومي في هذه الدار،طريح هذه الحرابة، وأنا أقص هذه السيئات، وأسرد تلك الشرور حتى تقبل النصيحة والتوجيه ولتدرك أن اكتساب المال لا يتحقق دون اغتصاب ووبال،ولا يمكن تناول كأس الشراب صافيا من القذى فبعد أن

استوليت عليها بهذه الطريقة هدمتها تماما، وشيدتها مرة أخرى، وقد استخدمت أمانات
الفقراء وودائع الضعفاء في تشييد هذا الباب ، والحانوت والصحن والإيوان، وأنفقت
في هذا الرواق الذي جعلته طريق العمارة العراقية فضة خمسين مسلما، فأى علم
للفقراء بهذا، وماذا يعلم الأدباء من قدره، إن إقامة هذا الباب والحائط عبارة عن
"مجنة" وإنجاز هذا اللون والرسم "دفتر و قلم" فإليها أقرأ عليك ذلك حرفا حرفا وأقصه عليك
سطرا سطرا، فعندما نتطلع على كشوف نفقاتي تعلم قدرتي، وتدرك خطري، فالبث معنا
ساعة لتطعم وتأكّل السكّابجة الموعودة، ثم نتجه إلى العمل، وتخلي الأيدي للعد
والحساب. وعند ذلك انصرف عن هذا الكلام، ونهض وطلب الطست والإبريق وقال
:أيها الشيخ الطست والغسول تقوم بها سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم قال اعلم
أني اشتريت هذا الطست من سوق دمشق بعد ألف شوق، ووعاء الماء هذا قد
حصلت عليه بعد ألف قصة، وهذا الشال الذي يضعه الخادم حول رقبته قد اشتريته
من بائعي الطرائف في "طبرستان" وقد تخيرته من بين ألف واحد، وكانت روحي قد
بلغت الحلقوم في غلواء هذه الوحشة وأثناء تلك الضجة، وقد أصاب الخنجر مني
العظام.

اندؤ غىء لآشف هة لجهئذ

-لقد أصاب التهاب القلب، وحلت الحمى بالجسم.

وبلغت الأنفاس الشفاة الروح الحلقوم

فلما اشتعل تنور صدري بهذه النار ، وذهب المضيف لترتيب الخوان قلت في
نفسي ليل المطالب صبح ساطع، وفرصة الغالب سيف قاطع، لا غرور أن أكون من
المنسلين، والفرار عن المقام من سنن المرسلين، وقد بقي حتى الآن وصف القدر
والمقالة والتتور، وهو لم يقرأ عليا بعد إجمال ذلك وتفصيله، ولا زال الآن شراب هذا بيد
الساقى، ووصف الآخرين باقي من الحطب الذي احترق، والنار التي اشتعلت، وممن
قد تعلم طبخ السكباج، وأي بقال قد باع الحوائج والخل من أي كرمة و العسل من
أي زنبور، ودقيق الخبز من أي قمح وخمير، وماؤه من أي وعاء وإناء وأصله من أي
حوض والشعير غلة أي الشجرة، الطاسة من أي حجر ومن كان خراط مائدته،
وكيف خاط الحائك سترته، فلو يمتد الأمر إلى هذا التفصيل لبلغت الروح الحلقوم،
فنعوذ بالله من لئيم الشبع، ومن دنيء رفع، ثم قلت في نفسي لا مفر من هذا القضاء
البرم إلا الهروب، ولا منجاة من هذا البلاء المحكم إلا بالعفاف، فوضعت اليد على
الباب المغلق، وأسلمت الجسد للقضاء والقدر وانطلقت مسرعا، ومضيت مهرولا وأنا
أردد هذه الأبيات:

سعد

ولما نجوت من هذا الحبل المسد فررت فرارا من الأسد

وقلت لقلبي تسل واسترح فقد نجا برأسه فقد ربح

فلما سمع صرير الباب أسرع في أثري مثل "وزير الشطرنج" وكنت أنا كالصيد الذي قطع الشبكة، والطائر الذي أفلت من القفص، فصرفت كل همي في الجري، وبذلت كل عزيمتي في الطيران والفرار، فلما لم يلحق بي المضيف الثرثار ورغم الجري والإسراع، لوى عنان الطلب بينما كنت أنا أكنس بساط الأرض كالريح وأردد في نفسي هذا البيت:

-من الأجدى أن تفرغ من أمري وتنصرف عني.

فلن تدركني ولو سابت الريح ولما لم أستطع العودة في الطريق الصحيح، ولم أهتدي في تلك المضايق، فقد كنت أتحسس الخطى كالناقة العشواء، وأتخبط بين الأبواب والحوائط كالنملة الضالة في الليلة الحالكة السوداء، وامتد هذا الضلال وانتهت تلك الحال من الجهل إلى أن أحاط بي فوج من العسس عند نقطة حراسة، وأوجعوني ضرباً بالهراوات، وخلعوا عني ثيابي، فجعلوني أشبه بالثومة وزجوا بي في سجن الشرطة عاري الرأس حافي القدمين، وجعلوني زميلاً للسجناء، وأسلموني ليد الجلاد فبقيت شهرين في ذلك الكهف سجيناً مع اللصوص، وقطاع الطرق، وليس لصديق قط علم بحالي أو خبر عن مالي ولا يجد شخص سبيلاً قط إلي، حتى أخذوني يوماً إلى باب السجن موقف التسول والشحاذ لأدفع عوزي وبؤسي، وأوقفوني بباب السجن للسؤال، وعلى قدمي سلسلة

وقيد، وعلى صدري خرقه، وفوق رأسي عمامة ممزقة، وعلى ظهري لباد
وفي يدي طبق، فوقعت على قارعة الشارع الأعظم ومددت يدي للسؤال
فمر بي مصادفة أحد من أبناء مدينتنا وحدق بي ودقق النظر، فلما كرر
ذلك عرفني ورماني بنظرة وأسل من أجلي عبرة، وبكى بحرقة لأحوالي
وأهوالي، وطني قد أثرت اضطرابا أو أتيت فسادا، أو أنني قد سفكت دما
بغير حق، فلما أصغى لأمرى أدرك أنه ليس وراء تلك المهانة أي لون
من تلك الإدانة، وأن تلك العقوبة ليست من أجل ذنب كبير، فذهب وحمل
الخبر إلى باقي الأصحاب وسعى لدى الباب والحارس حتى ثار غرباء
المدينة، ورفعوا الأمر إلى الوالي، وحصلوا على أمر من قائد العسس إلى
وكيل الحرس، وأخرجوني من السجن بعد شهر. فلما وجدت الخلاص من
تلك الشدة وحصلت على الأمن والراحة من ذلك الألم وتلك التعاسة،
بدأت زيارة المسجد الجامع، فركعت به ركعتين فيهما خشوع وإخلاص
شكرا على هذا الخلاص. وأخذت على نفسي عهدا مؤكدا، ووعدا مؤبدا أن
لا أجلس من منزل أمام وعاء سكباج قط ولا أرى في اليقظة أو كسر وجه
تاجر قط، أيها الأصحاب والأحباب إن قصتي مع السكباج مختصرة، وهي
واحدة من ألف وقليل من كثير، وعهدي ونذري من الإسلام والدين، وبعد
هذا فالأمر لكم والروح والرأس رهينا إشارتكم، فأصاب كل واحدة من هذه

الحالة ألم كبير وأذى كبير، وأرسل كل واحد أنفاسا باردة لهذه الكارثة
وقالوا: يا كمياء الألم إنك معذور ولهذا الاضطراب ، ومشكور على
الوجل، ومشهور لما قلت وقد نذرتنا جميعا، ألا نأكل من تلك ملعقة، وألا
ننظر في ذلك الإناء لحظة، وأكملنا تلك الليلة بغير السكاج، وأوصلنا
المساء حتى السحر وقلنا: نبذل فيك جهدنا ولا ننقض فيك عهدنا،
وانصرفنا إلى لطائف القطنف، وإلى ما بقى من الحلوى، ونفضنا أيدينا من
وعاء السكاج وتعاهدنا على ذلك الميثاق، وأعطينا كاسة السكاج
للبواب، وبسطنا هذا الحديث كالنقاد حتى الصباح وكنا كالشمعة حينما في
البكاء، وحينما في الضحك، فلما لمع عذارى رومي النهار وأزلفت قدم زنجي
الليل، أطلق الشيخ عنانه مع الصباح المبكر، واختفى عن العيون كالليلة
الفاتية.

آانءة غىء لآف هءة بءئءء

-لا أعلم إلى أين اجتذبه الفلك.

وإلى أي صار أمره مع واقعات الأحداث.

-وأين سقط في صراع مع النفس والطبع.

وإلى أين أسرع في أثر الحظ العاثر.



قائمة المصادر والمراجع

- 1- ابن الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفرقي المصري، لسان العرب، دار المعارف، بيروت، دط، 1980.
- 2- أبو زيد سامي يوسف، الأدب في العصر العباسي، دار المسيرة، الأردن، ط2011، 1.
- 3- البستاني بطرس، أدباء العرب في الأعصر العباسية، دار عبود ماروان، بيروت، دط، 1997.
- 4- الباكور حسن فالح، في الكتابة وأشكال التعبير، دار جرير لنشر والتوزيع، ط2003، 2.
- 5- جمعة محمد بديع، الأدب المقارن، دالر النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1980.
- 6- الحريري أبي محمد القاسم ابن علي، مقامات الحريري: المسمى المقامات الأدبية، دار الكنب العلمية، بيروت، ط6، 2008.
- 7- خفاجي عبد المنعم محمد، الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء لدينا للطباعة، ط2، 2004.
- 8- الزيات أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة مصر، القاهرة، دط، دت،
- 9- السعافين إبراهيم، أصول المقامات، دار المناهل، بيروت، ط1، 1987.
- 10- السيد علي خليفة مجمد، دراسات في فنون النثر العربي، دار الوفاء، مصر، ط1، 2003.
- 11- الشكعة مصطفى، بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2003.
- 12- الشوابكة داود غطاشة وآخرون، دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية، دار الفكر، الأردن، ط1، 2009.
- 13- صالح محمود عبد الرحيم، فنون النثر في الأدب العربي دار جرير، الأردن، ط2، 2006.
- 14- ضيف شوقي

- 15- تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ط8 ، دت.
- 16- ضيف شوقي، عصر الدول والإمارات، دار المعارف، مصر، دط، 1958.
- 17- الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر ، ط6، دت.
- 18- المقامة ،دار المعارف ،مصر ، ط3، دت.
- 19- طقوس سهيل ،تاريخ الدولة العباسية ،دار النفائس، لبنان، ط7، 2007.
- 20- عبده محمد ، شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2005.
- 21- عبد الواحد عمر، السرد و الشفاهية:دراسة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار الهدى، ط2، 2003.
- 22- عوض يوسف نور، فن المقامات بين المشرق والمغرب، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة نط2 ،دت.
- 23- غنيمي هلال محمد ،النقد الأدبي الحديث،نهضة مصر للطباعة والنشر، ط3، 1973.
- 24- الفاخوري حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت ،دط،دت.
- 25- فروخ عمر، تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط4،دت.
- 26- ماروان عبود،بديع الزمان الهمذاني، مؤسسة هنداوي، القاهرة، دط ، 2003.
- 27- مبارك زكي النثر الفني في القرن الرابع ،مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر ،مصر ،دط ،دت.
- 28- مجالي عبد السلام رابعة، ملامح الحياة الأدبية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ،ط1 ، 2008.
- 29- مرتاض عبد الملك، القصة في الأدب العربي القديم، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط1، 1968.
- 30- مرتاض عبد الملك، فن المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،دط ، 1980.

31- مصطفى أحمد أمين ، الحريري صاحب المقامات، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 1998.

32- ندا طه ، الأدب المقارن، النهضة العربية،بيروت، دط، 1991.

33-ياغي عبد الرحمن ، رأي في المقامات، دار الفكر ن الأردن ،دط، 1995.

ملخص البحث:

المقامة فن من الفنون النثر العربي، ظهرت في القرن 4هـ و ازدهرت في عصر الانحطاط و للمقامة عدة تعريفات متقاربة في معناها و و مختلفة في مبنائها ، فهي تعرف بكونها قصة قصيرة .

لقد نمت هذا الفن و ترعرع في البيئة العباسية ، و لهذا الفن رواد كان لهم الفضل الكبير في بروزه كفن أدبي قائم بذاته و من بينهم : ابن دريد و الحريري و بديع الزمان الهمذاني و غيرهم و أغلب موضوعات المقامات تدور حول الكدية و التسول و الغرض الأساسي منها هو التمرن على الكتابة و الإنشاء.

لقد تأثرت المقامات الفارسية أشد التأثير بالمقامات العربية خلال القرن 6 هـ حين كتب الحميدي مقامته ونهج في أسلوبه نهج البديع و الحريري و جعلها محاكاة و تقليدا لمقاماته. و هذا التأثير كان نتيجة العلاقة القوية بين الأدبين العربي و الفارسي قبل الفتح الإسلامي و بالتالي فالمقامات هي عربية بداية و أصلا و صناعة و تتفق مقامات الحميدي مع مقامات الهمذاني في العناية بالألفاظ و السجع و الإكثار من الشواهد القرآنية و من الحديث النبوي و الأمثال و الألغاز كما تختلف في تسمية الأطعمة و الأماكن، الراوي....

الكلمات المفتاحية:

المقامات – الفارسية – العربية – بديع الزمان الهمذاني – الحريري –
الكدية – التسول – الحرمان – الحميدي – المقامات المضيرية – المقامات
السكاجية – التأثير و التأثير .

فهرس الموضوعات



• فهرس :

المقدمة..... أ- ج

مدخل:

البيئة العباسية و أثرها في فن

البديع.....06

الفصل الاول : المقامة مفهومها و نشأتها في الأدبين العربي و الفارسي

اولا: مفهوم المقامة أصولها و خصائصها

1- مفهومها

أ- لغة.....33

ب - اصطلاحا.....34

2- أصولها الفنية.....37

أ - الكدية.....38

ب - الشاعران الأحنف العكبري و أبو دلف الخزرجي.....41

ج- احاديث ابن دريد.....42

3 – خصائص المقامات و أهدافها

أ – الخصائص الفنية.....47

ب – أهدافها.....49

ثانيا: نشأتها في الأدبين العربي و الفارسي

1 – نشأتها عند العرب :

أ – بديع الزمان الهمذاني :

51.....	- التعريف بالمؤلف
53.....	- نشأتها بين البديع و ابن دريد
	ب - الحريري :
57.....	- التعريف بالمؤلف
58.....	- تأليفه لمقاماته
	2- نشأتها في الأدب الفارسي:
65.....	أ - التعريف بالحميدي
65.....	ب - انشائه لمقاماته
	الفصل الثاني: أثر المقامة المضيرية للبديع في السكاجية للحميدي
	أولا: أوجه التشابه بين المقامات العربية و الفارسية :
71.....	أ - أوجه التشابه
75.....	ب - أوجه الاختلاف
	ثانيا: مظاهر تأثر المقامة السكاجية بالمضيرية
81.....	أ - اثر المقامة المضيرية في السكاجية
89.....	ب - المسحة الفارسية في المقامة السكاجية
93.....	خاتمة
97.....	ملاحق
125.....	قائمة المصادر و المراجع
128.....	ملخص البحث
129.....	الكلمات المفتاحية